كلية الدعوة والإعلام
قاعة الرسائل العلمية
نسخة
الأخيرة

١٤٢٢
ل ن ٠م

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية الدعوة والإعلام
قسم الدعوة

المعجزة

وأثرها في الدعوة إلى الله تعالى

بحث مكمل لنيل درجة الماجستير .

إعداد الطالب : نجادي بن عفت ليمامي .

إشراف الدكتور : عبد الله بن يوسف الشاذلي .

العام الدراسي ١٤٠٦ - ١٤٠٧ هـ

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم ،

الحمد لله نحمده ونشكره ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونتوب اليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلن تجد له هاديا مرشدا وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح للأمة صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد :

فان المعجزات هي براهين الأديان على أنها من عند الله وليست من عند الانسان . والأديان لا تكون شيئا ان لم تكن من عند الله ، فصدورها من الله ضمان هدايتها الانسانية في كل الظروف ، ووضوح البرهان على أنها من عند الله ضمان استيقان الانسان اياها وطاعته لها . وسواء أكان الدين خاصا بأمة أم عاما للبشر فالبرهان عليه ينبغي أن يكون عاما يخضع له كل عقل ، لا خاصا تخضع له بعض العقول .

والانسانية الآن في حاجة الى دين تخرج به من ورطاتها بعد أن كادت تهلك حين نسيت الدين . ولو أرادت البحث

بعقلية علمية عن دين الفطرة - كما لا بد لها أن تبحث يوما ما - فليس أمامها الا أن تنظر فى الأديان باعتبارها ظاهرة وفى الحقيقة انها ظاهرة من أكبر الظواهر الواقعية ، وأعظمها مظهرا وأثرا فى حياة الانسان، والواقع هو موضوع الدراسات العلمية ، أو هو موضوع العلم الطبيعي بشرط أن لا يكون لهوى الانسان دخل فيه ، لأن الهوى والحق قلما يجتمعان .

لكن هناك ظاهرة تاريخية هي أهم ظواهر التاريخ التى ليس للانسان عليها سلطان ، وان جرت على أفراد من الناس، تلك هي ظاهرة النبوة وظهور الأنبياء. فان الله سبحانه وتعالى لما خلق العباد لم يتركهم سدى بل أرسل فيهم رسلا وأنبياء يدعونهم الى عبادة الله تعالى. يظهر كل واحد منهم على غير اعداد منهم حتى خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم ، يتجردون من كل ما يشغل الناس من اقبال على الدنيا واستمتاع بها ، جاعلين شغلهم الشاغل دعوة أقوامهم الى طاعة فاطر الفطرة وخالق الناس ثم هم لا يدعونهم من عندهم ، ولكن يدعونهم باسم الله الذى خلقهم ، مؤكدين لهم أنهم مرسلون اليهم من عند ربهم برسالة ليس لهم فيها الا التبليغ. وسواء آمن بهم كثير أو لم يؤمن

بهم الا قليل فانهم يعملون فى جميع الأحوال بما يدعون اليه من دين مهما شق العمل بهم على الناس ، ويتحملون فى سبيل تأدية الرسالة على وجهها ما يتحملون، لا يصرفهم عن رسالتهم أذى أو اغراء .

وتصحب النبوة والرسالة عادة ظاهرة أخرى، هي أشبه بما يشتغل به العلم من الظواهر، نسميها معجزة . وهي دليل دعوى النبي أو الرسول أنه نبي الله أو رسوله . وهي حجة الله على من شهدها أو تواتر سماعها بها عمن شهدها . والمعجزات تشبه ظواهر الفطرة فى أنها مما لا يقدر عليه انسان . كلها تشترك فى هذا التفرد لتكون دليلا عند من يعقل أن الذى أجراها على يد الرسول هو الله فاطر الفطرة ومرسل الرسول .

ولأهمية المعجزة فى تاريخ النبوة واثبات الرسالة اخترت هذا الموضوع ليكون مجالا لدراستي فى البحث المكمل لنيل درجة الماجستير .

وعلى الرغم مما كتب فيه من أبواب وبحوث الا أن المطلوب هو معرفة التأثير الاعجازى وقيمة المعجزة فى الاستدلال والاقناع.

ومن هنا تكمن صعوبة الموضوع وايفاء الموضوع ككل .

تعرضت للمعجزة فى شروطها وطرق بحثها المنيعة حتى وصلت الى تلك النقطة من التأثير فوقفت عندها قدر الاستطاعة وقدر ما تسمح به الظروف . وكان تجولي بين كتب التفسير وعلوم القرآن ، وكتب التوحيد والدعوة وكتب أخرى متنوعة ، وكلها موضوعات متناثرة مما زاد صعوبة البحث ولكن الله سبحانه وتعالى وفق فله الحمد والمنة .

وقد اتبعت فى هذا البحث المتواضع المنهج النصي التحليلي واستنتاج ما فيه من عبر .

وقسمته الى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة . وتعرضت فى الفصل الأول الى تعريف المعجزة لغة واصطلاحا وشروطها وتاريخ تسميتها وعلاقتها بالسنن الكونية وتنوعها ومناسبتها لبعثة كل نبي ثم الفرق بينها وبين غيرها من خوارق العادات .

والفصل الثاني تحدثت فيه عن المرحلة الاعجازية بين مراحل الدعوة ويشمل تمهيدا ثم المرحلة البلاغية واثارة الفطرة الانسانية وجواب المدعوين لأنبيائهم ومناقشتهم اياهم والمرحلة الاعجازية .

والفصل الثالث تناولت فيه التأثير الاعجازى بالنماذج والتطبيقات مقسم الى تمهيد فدلالة المعجزة ثم التأثير الاعجازى مبينا فيه تأثير المعجزة الحسية وتأثير المعجزة العقلية أو العلمية . وفى النهاية الخاتمة قدمت فيها أهم النتائج التى توصلت اليها والتوصيات .

وأخيرا أتقدم بالشكر الجزيل لجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية متمثلة بكلية الدعوة والاعلام / قسم الدعوة / التى ما فتأت تساعد طلبة العلم وتوجههم وذلك بتعيينها الأساتذة الأكفاء الذين يحرصون على أداء الواجب وخدمة طلبة العلم .

وأخص بالشكر أستاذى الفاضل والمشرف على البحث الدكتور : عبدالله بن يوسف الشاذلي الذى تعب معي فى سبيل اخراج هذا البحث فى أحسن صورة من الناحيتين : الموضوعية والفنية فجزاه الله عني خير الجزاء ، كما أشكر كل من ساهم فى هذا البحث المتواضع . وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

الفصل الأول

"المعجزة" وتشتمل :

١- تعريف المعجزة لغة .

٢- تعريف المعجزة إصطلاحاً .

٣- شروط المعجزة .

٤- تاريخ تسميتها بالمعجزة .

٥- علاقة المعجزة بالسنن الكونية .

٦- تنوع المعجزة ومناسبتها لبعثة كل نبي .

٧- الفرق بين المعجزة وغيرها من خوارق العادات .

تعريف المعجزة لغـــة :

" والعَجْزُ : الضعف، تقول : عجزت عن كذا أعجز بالكسر عَجْزًا ومَعْجِزَةً ومَعْجَزَةً ومَعْجِزًا ومَعْجَزًا بالفتح أيضا على القياس . وفي الحديث : " لا تلبثوا بدار مَعْجَزَةٍ " ، أي لا تقيموا ببلدة تعجزون فيها عن الاكتساب والتعيش .

والمعجزة : واحدة معجزات الأنبياء ".(١)

وقال ابن منظور(٢) في لسان العرب : " العجز نقيض الحزم عَجَزَ عن الأمر يعجز وعَجِزَ عجزا فيهما . ورجل عَجِزٌ وعَجُزٌ : عاجـــز ومرأة عاجز : عاجزة عن الشيء ، وعَجَّزَ فلان رأي فلان اذا نسبـــه الى خلاف الحزم كأنه نسبه الى العجز . ويقال : أعجزت فلانا اذا ألفيته عاجزا . والمَعْجِزَةُ والمَعْجَزَةُ : العجز . والعجز : الضعـــف تقول : عجزت عن كذا أعجز ".(٣)

---

(١) أنظر : اسماعيل بن حماد الجوهري / الصحاح : تاج اللغـــة وصحاح العربية / ج ٣ ص ٨٨٣ - ٨٨٤ .

(٢) ابن منظور : ٦٣٠ - ٧١١هـ = ١٢٣٢ - ١٣١١م . محمد بن مكـــرم ابن علي ، أبو الفضل ، جمال الدين بن منظور الأنصاري الرويفعي الأفريقي ، الامام اللغوي الحجة . ولد بمصر (وقيل : في طرابلس الغرب) ، وخدم في ديوان الانشاء بالقاهرة ثم ولي القضاء في طرابلس . وعاد الى مصر فتوفي بها ، وله تصانيف كثيرة ، أنظر : خير الدين الزركلي / الأعلام / ج ٧ ص ١٠٨ .

(٣) أنظر : ابن منظور / لسان العرب / ج ٦ ص ٣٦٩ .

ولقد لخص الامام البغدادى[1] المعاني اللغوية المتناثرة السابقة فى أسلوب سهل ومبسط ومتماسك فى الوقت نفسه مركزا فيه على المطلوب تجاه الأمر الاعجازى الخاص بالأنبياء فقال: "المعجزة فى اللغة مأخوذة من العجز الذى هو نقيض القدرة والمعجز فى الحقيقة فاعل العجز فى غيره وهو الله تعالى كما أنه هو المقدر لأنه فاعل القدرة فى غيره. وانما قيل لأعلام الرسل عليهم السلام معجزات لظهور عجز المرسل اليهم عن معارضتهم بأمثالها. وزيدت الهاء فيها فقيل معجزة للمبالغة فى الخبر عن عجز المرسل اليهم عن المعارضة فيها كما وقعت المبالغة بالهاء فى قولهم: علامة ونسابة وراوية".[2]

---

(١) عبدالقاهر البغدادى: ... - ٤٢٩ هـ = ... ١٠٣٧ م.
هو عبدالقاهر بن طاهر بن محمد بن عبدالله البغدادى التميمي الاسفراييني، أبو منصور: عالم متفنن من أئمة الأصول، كان صدر الاسلام فى عصره. ولد ونشأ فى بغداد، ورحل الى خراسان فاستقر فى نيسابور. ومات فى اسفراييني، كان يدرس فى سبعة عشر فنا، وله تصانيف كثيرة منها: كتابه "أصول الدين".
أنظر: خيرالدين الزركلي / الأعلام / ج ٤ ص ٤٨.

(٢) أنظر: الامام عبدالقاهر البغدادى / أصول الدين / ص ١٧٠.

تعليق على المعنى اللغوي :

الفعل يستعمل لازما مثل عجز الأمر ومتعديا مثل أعجزت فلانا ، والمادة بفعلها اللازم والمتعدى تشير الى ثلاثة معان:

١ - هي العجز بمعنى الضعف .

٢ - والعجز بمعنى قلة الحزم .

٣ - وأعجزته اذا وجدته عاجزا .

ومعجزة الأنبياء شاملة لهذه المعاني الثلاثة الا أنها تكون وصفا للمتحدّى وهو الاقوام لأنهم هم الذين ضعفوا أمامها وأصابهم عدم الحكمة والرأى اذ تحداهم الأنبياء بها ، ووجدهم الأنبياء فاقدى القدرة الفعلية والبدنية عن أن يأتوا بمثلها .

تعريف المعجزة اصطلاحـــــا :

لقد تتبعت معظم كتب التوحيد وغيرها من الكتب التـــي تكلمت عن القرآن وعلومه فوجدتهم يعرفون المعجزة بتعريفـــات مختلفة فاخترت منها ما يأتي :

١ - عرفها مجموعة كبيرة من العلماء بأنها : " أمر خارق للعادة مقرون بالتحدى سالم عن المعارضة ".(١)

٢ - وعرفها القاضي عبدالجبار(٢) قال : " واعلم أن من حق المعجـــز أن يكون واقعا من الله تعالى حقيقة أو تقديرا ، وأن يكـون مما تنقض به العادة المختصة بمن أظهر المعجز فيـــه ، وأن يتعـــذ ر على العباد فعل مثله فى جنسه أو صفته ، وأن يكون مختصا بمن يدعي النبوة على طريق التصديق له ".(٣)

---

(١) منهم : فخرالدين الرازى/ محصل الأفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين/ ص ١٥١، وتاج القـــراء الكرماني/ أسرار التكرار فى القرآن/ ص ٢٣١، وابن حجـــر العسقلاني/ فتح البارى شرح صحيح البخارى/ ج ٦ ص ٨١ه بتحقيق وتصحيح محمد فؤاد عبدالباقي ومحب الدين الخطيب ، والسيوطي / الاتقان فى علوم القرآن/ ج ٤ ص ٣، بتحقيق محمد أبوالفضل ابراهيم وغيرهم .

(٢) القاضي عبدالجبار : ... - ٤١٥هـ = ... - ١٠٢٥ م . عبدالجبار بن أحمد بن عبدالجبار الهمذاني الأسدابادى، أبو الحسن: قاضي أصولي . كان شيخ المعتزلة فى عصره . وهم يلقبونه قاضي القضـــاة ولي القضاء فى الرى ومات بها ، وله تصانيف كثيرة ، أنظـــر: خيرالدين الزركلي/ الأعلام/ ج ٣ ص ٢٧٣ .

(٣) أنظر: القاضي عبدالجبار/ المغني فى أبواب التوحيد والعدل/ ج ١٥ ص ١٩٩ ، بتحقيق د. محمود الخضيرى ود. محمود قاسم .

٣ - وعرفها الباقلاني[١] قال: " ان من حق المعجز أن لا يكون معجزا حتى يكون واقعا من فعل الله سبحانه وتعالى على حد خرق عادة البشر مع تحدى الرسول عليه السلام، بالاتيان بمثله وتقريع مخالفه بتعذر مثله عليه ".[٢]

٤ - وعرفها الزرقاني[٣] قال: " هي أمر يعجز البشر متفرقين ومجتمعين عن الاتيان بمثله، أو هي أمر خارق للعادة، خارج عن حدود الأسباب المعروفة، يخلقه الله تعالى على يد مدعي النبوة عند دعواه اياها شاهدا على صدقه ".[٤]

٥ - ويعرفها الدكتور حسن ضياء الدين عتر بقوله: " المعجزة أمر يجريه الله تعالى على يد النبي، يفوق طاقة البشر ويخرق قوانين الطبيعة وخواص المادة، يتحدى النبي به قومه فلا يقدر أحد على معارضته ".[٥]

---

(١) الباقلاني: ٣٣٨ - ٤٠٣هـ = ٩٥٠ - ١٠١٣ م. هو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، أبو بكر: قاضي، من كبار علماء الكلام انتهت اليه الرياسة في مذهب الأشاعرة. ولد في البصرة وسكن بغداد فتوفي بها، أنظر: الزركلي/ الأعلام/ جـ ٦ ص ١٧٦.

(٢) أنظر: الباقلاني/ كتاب البيان/ ص ٩٤.

(٣) الزرقاني: هو محمد عبدالعظيم الزرقاني. من علماء الأزهر بمصر، تخرج بكلية أصول الدين وعمل بها مدرسا لعلوم القرآن والحديث، توفي بالقاهرة سنة ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م، أنظر: الزركلي الأعلام/ جـ ٦ ص ٢١٠.

(٤) الزرقاني / مناهل العرفان/ جـ ١ ص ٧٣.

(٥) أنظر: حسن ضياء الدين عتر/ بينات المعجزة الخالدة/ ص ١٩.

٦ - وعرفها محمد الصادق عرجون بقوله : " المعجزة حادث كوني أو أمر وجودي خارق لمألوف الناس ومعتادهم في معارفهم لا يقدر عليه أحد من الخلق ولا يجرى على يد أحد سوى من تحدى به في اثبات دعوى الرسالة للدلالة على صدقه ".(١)

ونستخلص من جميع التعريفات السابقة للمعجزة التعريف المختار فنقول:

" ان المعجزة أمر يجريه الله تعالى على يد النبي، واقع من فعله تعالى، خارق للقوانين الطبيعة وخواص المادة، ولمألوف الناس ومعتادهم في معارفهم، يعجز البشر متفرقين ومجتمعين عن الاتيان بمثله، ولا يجرى على يد أحد سوى من تحدى به في اثبات دعوى الرسالة للدلالة على صدقه، وتقريع مخالفه بتعذر مثله عليه ".

---

(١) أنظر: محمد الصادق عرجون / معجزات الأنبياء بين العقل والعلم / ص ١٣ .

تعليق على التعاريف الاصطلاحية :

فنحن نرى أن الرابطة بين المعنى اللغوى والاصطلاحي هي درجة العجز عند الأقوام على أن يأتوا بمثلها سواء كانت المعجزة علمية أو محسوسة .

وتضيف التعريفات الاصطلاحية قيودا أخرى تتعلق بالأمر المعجز مثل كونه من الله وحده ، وأن يكون صادرا على يد من يدعي النبوة ، ويكون القصد منه هو تحدى المنكرين خارجا للعادة الجارية والسنن المألوفة .

وهذه القيود الاصطلاحية المزيدة على المعنى اللغوى لم ترد تحكما من العلماء انما جاءت من واقع سوق المعجزات على يد الأنبياء وتحديهم بها واخبار الوحي بذلك اخبارا متواترا ، أو وصولها الينا من جماعة يؤمن تواطؤهم على الكذب .

ولمزيد تفصيل لهذه القيود سنسوقها فى صورة شروط للفعل الاعجازى .

شروط المعجـــــزة :

ذكر العلماء عدة شروط للمعجزة وهي كالآتي :

الشرط الأول : أن تكون المعجزة مما لا يقدر عليها الا اللـــــه تعالى ، لأنه لو أتى آت في زمان يصح فيه مجيء الرسل وادعـــى الرسالة وجعل معجزته أن يتحرك ويسكن، ويقوم ويقعد ، لم يكـــن هذا الذى ادعاه معجزة له ، ولا دالا على صدقه لقدرة الخلق على مثله ، وانما يجب أن تكون المعجزات كفلق البحر ، وانشقاق القمر وما شاكلها مما لا يقدر عليها البشر.(١)

الشرط الثاني: أن تكون خارقة للعادة ، لأنه لو قال المدعـــي للرسالة آيتي مجيء الليل بعد النهار ، أو طلوع الشمس مـــن مشرقها ، لم يكن فيما ادعاه معجزة ، لأن هذه الأفعال وان كـــان لايقدر عليها الا الله فلم تفعل من أجله ، وقد كانت قبل دعـواه على ما هي عليه في حين دعواه ، ودعواه في دلالتها على نبوتـــه كدعوى غيره ، فبان أنه لا وجه له يدل على صدقه ، والذى يستشهد به الرسول له وجه يدل على صدقه ، وذلك أن يقول: الدليل علـــى

---

(١) أبو عبدالله القرطبي/ الجامع لأحكام القرآن/ ج ١ ص ٧٠ .
- وإمام الحرمين الجويني/ كتاب الارشاد/ ص ٣٠٨ - ٣٠٩ .

صدقي أن يخرق الله تعالى العادة من أجل دعواى عليه الرسالة فيقلب العصا ثعبانا ، ويشق الحجر ويخرج من وسطه ناقة ، أو ما سوى ذلك من الآيات الخارقة للعادات، التى ينفرد بها جبار الأرض والسماوات .(١)

الشرط الثالث : أن يتعذر معارضتها ، بأن لا يأتي أحد بمثل ما أتى به المتحدى على وجه المعارضة ، فان تم الأمر المتحدى به المستشهد به على النبوة على هذا الشرط مع الشروط الباقية فهي معجزة دالة على نبوة من ظهرت على يده .(٢)

الشرط الرابع: أن تكون ظاهرة على يد من يدعي النبوة ، ليعلم أنه تصديق له ، ويكفي قرائن الأحوال مثل أن يقال لمدعي النبوة ان كنت نبيا فاظهر معجزا ففعل بأن دعا الله فأظهره فيكون ظهوره دليلا على صدقه ونازلا منزلة التصريح بالتحدى .(٣)

---

(١) أبو عبدالله القرطبي/الجامع لأحكام القرآن/ ج ١ ص ٧٠ .
- وأنظر: السيد شريف الجرجاني/ شرح المواقف / ج ٨ ص ٢٢٣- ٢٢٤ .

(٢) أنظر: القرطبي/ الجامع لأحكام القرآن / ج ١ ص ٧٠ .
- والجرجاني / شرح المواقف / ج ٨ ص ٢٢٤ .

(٣) أنظر: السيد شريف الجرجاني/ شرح المواقف / ج ٨ ص ٢٢٤.

الشرط الخامس: أن تقع على وفق دعوى المتحدى بها المستشهد بكونها معجزة له[١]، فلو قال معجزتي أن أحيي ميتا، ففعل خارقا آخر كنتق الجبل مثلا لم يدل على صدقه لعدم تنزله منزلة تصديق الله اياه[٢]، وكذلك ما يروى أن مسيلمة الكذاب لعنه الله تفل في بئر ليكثر ماؤها فغارت البئر وذهب ما كان فيها من الماء[٣].

الشرط السادس: أن لا يكون ما ادعاه أو أظهره من المعجزة مكذبا له، فلو قال: معجزتي أن ينطق هذا الضب فقال انه كاذب لم يعلم به صدقه بل ازداد اعتقاد كذبه[٤]، وأن هذا الكلام الذى خلقه الله تعالى دال على كذب ذلك المدعي للرسالة[٥].

الشرط السابع: أن لا تكون المعجزة متقدمة على الدعوى بل

---

(١) أبو عبدالله القرطبي/ المرجع السابق/ ج ١ ص ٧١ .

(٢) الجرجاني/ المرجع السابق/ ج ٨ ص ٢٢٤ .

(٣) القرطبي / المرجع السابق/ ج ١ ص ٧١ .
- حسن أيوب / مع رسل الله وكتبه واليوم الآخر/ ص ٦٠ .
- الوزاني/ النشر الطيب على شرح الشيخ الطيب / ج ٢ ص ١٧٨.

(٤) الجرجاني/ المرجع السابق/ ج ٨ ص ٢٢٤ .

(٥) القرطبي/المرجع السابق/ ج ١ ص ٧١ .
- الجويني/ المرجع السابق/ ص ٣١٥ .

مقارنة لها بلا اختلاف ، أو متأخرة عنها على خلاف[١] بين العلماء لأن ما يتقدم من المعجز لا يتعلق بالدعوى، أو يتأخر فلا يوجد الا بعد موت النبي فانه أيضا لا يتعلق بالدعوى، لأن حكم الدعوى قد بطل، ولأن حكمها هو وجوب القبول من المدعى والانقياد له فيما تحمله من الرسالة ، وهذا الحكم قد زال بوفاته ، فاذا صح ذلك لم يجز أن يتقدم المعجز ولا يتأخر لهذه العلة .[٢]

وبهذا أكون قد أوضحت ما تحتاجه المعجزة من الشروط التي لا تصح المعجزة بدونها .

---

(١) قال امام الحرمين الجويني في كتابه الارشاد: " ان تأخرت وطابقت الدعوى كانت آية . وذلك مثل أن يقول النبي: آية صدقي انخراق العادة بكذا وكذا وقت الصبح ، فاذا وقع ذلك كما وعد، كان آية ، الجويني/كتاب الارشاد/ ص ٣١٤ .

(٢) أنظر: القاضي عبدالجبار/ المغني/ ج ١٥ ص ٢١٣ .

تاريخ تسميتها بالمعجزة :

انقضت فترة الوحي ، وزمن الخلفاء الراشدين ، وعصر الدولة الأموية ، والعرب ينظرون فى القرآن على أنه مصدر التشريع لقضايا مجتمعهم الجديد ، دون أن يشغلوا بدراسته من الناحية الفنية للذى رأوا فيه من سمو المعنى الذى لا يتطرق الى خبراتهم الشك فيه والذى لا تسمو اليه قدرهم وهم أرباب الفصاحة واللسن ، ولذلك كانت الدراسات التى قامت حول القرآن لهذه الفترة فى معظمها تدور على تفسير نصوصه واستنباط الأحكام منها ، وتقنين القوانين التى استدعتها حياتهم فى ضوء النص القرآني .

وهكذا لا نعثر فى انتاج هذه الفترة على دراسة تتناول اعجاز القرآن من حيث بلاغته أو تتعرض لدراسة الجوانب الفنية فيه . لأن هذا كان أشبه بالمسلمة عند القوم .

ولكن العرب الذين عاشوا لا يخالطون غيرهم الى آخر عهد الأمويين ، بدأوا يخرجون عن عزلتهم ، فبدأوا يتصلون فكريا واجتماعيا بغيرهم من الشعوب التى دخلت فى الاسلام .[1]

---

(١) عبدالرؤوف مخلوف /الباقلاني وكتابه اعجاز القرآن/ص ٢٧-٢٨ .

ثم كانت حركة قوية لترجمة كتب الأمم المجاورة الى اللغة العربية وذلك فى العصر العباسي، فتأثر المسلمون من هذا كله تأثرا كبيرا فى الدفاع عن دينهم الذى ارتضاه الله لهم وعن كتابهم الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

ان البراهمة الهنود نسبوا لله كلاما صار عندهم كتابا مقدسا . أخذوا أنفسهم بتلاوته والتعبد به كما هو الشأن عند المسلمين تقريبا فى القرآن وهذا الكتاب هو " الفيدا " ونرى عندهم أصول القول بالاعجاز وتشقيقه وهل يكون بالنظم ،أو يكون بالصرفة .(١)

واذا كان هذا هو الشأن عند الهند، فالأمر يشبه ذلك عند الفرس ، فقد أتاهم زرادشت بكتاب " الأفستا " فى لغة يعجزون عن ايراد مثلها ، ولا يدركون كنه مرادها ، ثم عمل لهم تفسيرا للتفسير سموه " بزده ".(٢)

ولا شك أن علماء المسلمين قد علموا بأخبار هذه النظريات فى تلك الكتب وأنها اقتحمت عليهم تفكيرهم ، ولفتتهم الى

---

(١) الدكتور عبدالرؤوف مخلوف / المرجع السابق/ ص ٢٩ - ٣٠ .
(٢) المرجع السابق ص ٣٠ .

كتابهم القرآن - وهو معجز - ولكن جهة الاعجاز فيه لم تتحدد فلم لا يبحثون عن هذه الجهة ؟ ولم لا يقولون فيها بمثل ما قال أولئك فى كتبهم ؟ ولم لا يجتهدون فى تحديد وجه الاعجاز ماداموا سلموا بأصل النظرية ؟

ذلك ما كان، لا سيما وهم يعيشون عصرا أخذ الاسلام يتعرض فيه لحركات طعن وتشكيك من أصحاب هذه الديانات القديمة.(١)

وكان لا بد لهذه الحركة الزائفة التى ظهرت على أيدى الملاحدة من حركة معارضة يقوم بها رجال المسلمين تتصدى لتيار الزيغ وتناوئ أفكار الزائغين وتقيم للدين صرحا من الفكر بعيد عن كل زيف ، ويؤصل كل حقيقة ينبغي أن تنعقد عليها القلوب . فنشأ من كل ذلك علم عرف بعد باسم " علم الكلام "(٢). وكان من بين مسائله : مسألة " اعجاز القرآن ".(٣)

ومن الناحية الثانية لم يرد فى القرآن الكريم ولا فى

---

(١) عبدالرؤوف مخلوف / المرجع السابق / ص ٣٠ .

(٢) هو علم يقتدر معه على اثبات العقائد الدينية بايراد الحجج ودفع الشبه ، اذ به تتمايز العلوم ، وهو المعلوم من حيث يتعلق به اثبات العقائد الدينية تعلقا قريبا أو بعيدا ، أنظر : عبدالرحمن الايجي / المواقف فى علم الكلام / ص ٧ .

(٣) عبدالرؤوف مخلوف / المرجع السابق / ص ٣١ .

السنة النبوية المطهرة لفظ " المعجزة "بالمعنى الاصطلاحي المعروف اليوم وانما جاء فيهما لفظ : آية ، مثل قوله تعالى :
" وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ ". (١)

ولفظ برهان مثل قوله تعالى : " فَذَٰنِكَ بُرۡهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ". (٢)

ولفظ سلطان مثل قوله تعالى : "قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجۡعَلُ لَكُمَا سُلۡطَٰنٗا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيۡكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلۡغَٰلِبُونَ ". (٣)

ولفظ بينة مثل قوله تعالى : "قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ". (٤)

ومن الصعب جدا أن نحدد الزمان أو المكان أو الأثر الذى استعملت فيه كلمة "معجزة" أول مرة بهذا المعنى الديني الاصطلاحي الفني . (٥)

وعلى الرغم من أن الجدل فى أمر النبوة بدأ فى عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، أثاره أرباب الديانات الأخرى الذين ناقشوا المسلمين فى أمور الديانات منذ القرن أول من الهجرة ، فان كلمة " معجزة " لم تظهر بظهوره وليست قديمة قدمه .

---

(١) سورة آل عمران آية ٤٩ .
(٢) سورة القصص آية ٣٢ .
(٣) سورة القصص آية ٣٥ .
(٤) سورة المائدة آية ١١٠ .
(٥) أنظر: نعيم الحمصي /فكرة اعجاز القرآن الكريم / ص ٧ ،وأنظر: محمد حنيف فقيهي / نظرية اعجاز القرآن عند عبدالقاهر الجرجاني /١٢.

يدلنا على ذلك أن علي بن ربن الطبرى[1] الذى ألف كتاب "الأسلوب والبلاغة" فى الربع الثاني من القرن الثالث الهجرى لم يستعمل فى كتابه كلمة معجزة أو كلمة أخرى مشتقة منهـا بل استخدم فى المناسبات التى تدعوا الى استخدامها كلمة آية التى كانت لا تزال مستعملة فى عصره لمعناها.[2]

وفى نفس الوقت لا نستطيع أن نجزم على أن كلمة معجـزة لم تستعمل حتى ذلك الوقت، وانما نستطيع أن نؤكد أنها لـم تكن شائعة الاستعمال، وأنها لم تكن من القوة بحيث تكتسـع مرادفاتها القريبة منها كالآية والبرهان والسلطان والبينـة كما فعلت بعد.[3]

وأول كتاب عنون باسم "اعجاز القرآن" فيما نعلم هـو كتاب محمد بن يزيد الواسطي المتوفى سنة ٣٠٦هـ، ومن الواضـح

---

(١) هو علي بن ربن الطبرى أبو الحسن، طبيب حكيم، مولده ومنشأه بطبرستان، له تصانيف كثيرة، توفي سنة ٢٤٧هـ - ٨٦١ م. أنظر: الزركلي/ الأعلام/ جـ ٤ ص ٢٨٨.

(٢) أنظر: نعيم الحمصي/ المرجع السابق/ ص ٧.

(٣) أنظر: محمد حنيف فقيهي/ المرجع السابق/ ص ١٣ - ١٤.

أنه ألف في أواخر القرن الثالث أو في مطلع القرن الرابع الهجريين، وقد وردت فيه كلمة " معجزة "[1]. ثم أخذت كلمات (آية وبرهان وسلطان وبينة) تقل بعد ذلك في الاستعمال وتحل محلها كلمة " معجزة " في بحث مسألة النبوة وقضية الاعجاز.

ومن أصعب الأمور أن نبين الآن الأطوار والمراحل التي مرت بها كلمتا معجزة واعجاز، ولكن من الواضح البدهي أنهما استمدتا معنييهما الاصطلاحيين الحاليين من تتابع استعمالهما وكثرة المناقشة فيهما مع مرور الزمن ومن الاسترسال في فهم أقصى ما تدل عليه كلمة معجزة من معان.[2]

---

(١) أنظر: نعيم الحمصي/فكرة اعجاز القرآن/ ص ٨.
- ومحمد حنيف فقيهي/ نظرية اعجاز القرآن عند عبدالقاهر الجرجاني/ ص ١٤.

(٢) نعيم الحمصي/ فكرة اعجاز القرآن / ص ٨.

علاقة المعجزة بالسنن الكونية :

تمهيد :

ان الكون كله هو مجال النظر والتأمل فى آيات الله التى لا تنفد ، ولا تذهب ، ولا تغيب . وهو بجملته آية . وكل صغيرة فيه وكبيرة آية . والقلب البشرى مدعو فى كل لحظة لمشاهدة الخوارق القائمة الدائمة ، والاستماع الى شهادتها الفاصلة الحاسمة ، والاستمتاع كذلك بعجائب الابداع الممتعة التى يلتقى فيها الجمال بالكمال ، والتى تستجيش انفعال الدهش والحيرة مع وجدان الايمان والاقتناع الهادئ العميق .(١)

هذا ومن ناحية ثانية فأمر هذا الكون يقوم على الثبات واستقرار الذى لا يتزعزع ولا يضطرب ، لا على الهوى المتقلب والمزاج المتغير أو المصادفة العابرة والارتجال العارض ، كل شيء فى موضعه وفى زمانه ، وكل أمر فى مكانه ، والاستقرار يحكم كل شيء من حولهم . قال تعالى : "صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ "(٢)

---

(١) أنظر : سيد قطب / فى ظلال القرآن / م ٦ ص ٣٤٢٨ .
(٢) سورة النمل آية ٨٨ .

ولا شك أن الله تعالى قد خلق هذا الكون على نظام ثابت مستقر ومقدر من الواحد القهار قال تعالى: "إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ"(١). ولكن الله سبحانه وتعالى يغير هذا النظام الثابت المستقر تأييدا لرسله وتصديقا لهم.(٢)

خرق المعجزة لقوانين الطبيعية:

يسير الكون على سنن قد سنت. ونظم قد أحكمت. وارتباط بين الاسباب والمسببات العادية لا يتخلف، وان تخلفت المسببات عن أسبابها ووجدت الأمور منفكة عن علتها. كالولد يولد من غير أب، والحركة تجيء من جامد لا يتحرك كعصا، والنار تنكفئ وقد أوقدت، اذا حدث هذا الانقطاع بين الاسباب العادية ومسبباتها، فان العقل يمكن أن يحكم بأن الذى فعل ذلك فوق الاسباب العادية ومسبباتها، ولو ساير العقل منطقه الى أقصى مداه، فانه لا بد واصل الى أن الذى خرق العادات وخالف أسبابها ومسبباتها، لا بد أن يكون خالقها وموجدها. واذا كان القصور العقلي لا يصل الى هذه الغاية، وانه اذا وجدت هذه الغاية

---

(١) سورة القمر آية ٤٩.

(٢) عبدالمجيد الزنداني/ الايمان / ص ٩٥.

وبينت مقاصدها ، وعلم أن ذلك الخرق لهذه الغاية تبين معه صدق ما يدعي وأنه يعلم من وراء ذلك الخالق الحكيم ، المسيطر على كل شيء الذى يفعل ما يريده ، ولا يقيده نظام خلقه ولا عادات أوجدها .[1]

وفى هذه المناسبة يقول الأستاذ محمد الغمراوى[2] فى كتابه : " الاسلام فى عصر العلم " : " ومن عجب أن يشك مسلم فى المعجزات عامة أو فى معجزات النبي صلى الله عليه وسلم خاصة ظنا منه أن العلم الحديث أثبت استحالة المعجزات لأنها خرق للسنن الكونية ، وأن خرق السنن الكونية مستحيل ، ألا يرجع ذلك النفر الى نفسه فيسألها : كيف يمكن أن يثبت العلم استحالة المعجزات بالمعنى الذى فهمه مع أن الله - فاطر الفطرة التى يدرسها العلم - هو الذى أخبر فى كتابه الكريم أنه هو الذى أجرى المعجزات على أيدى أنبيائه ورسله شهادة منه لهم بأنه

---

(١) محمد أبو زهرة / المعجزة الكبرى القرآن / ص ٧ .

(٢) محمد أحمد الغمراوى ولد بمدينة زفتى بمحافظة الغربية بجمهورية مصر العربية سنة ١٨٩٣ م ، تعلم الابتدائية بطنطا ثم التحق بالمدرسة الخديوية بالقاهرة حتى أكمل تعليمه وتخرج من مدرسة المعلمين العليا سنة ١٩١٤ م ، لمزيد من المعلومات ارجع الى كتابه " الاسلام فى عصر العلم " نبذة تاريخية عن حياته بقلم الدكتور / أحمد عبدالسلام الكرداني .

هو الذى أرسلهم الى الناس ؟ ... ولو رجع الى العلم وأهله ليعرف ماذا ثبت فى هذا الصدد لوجد أن الذى ثبتت استحالته هو خرق العلماء والبشرية كلها لشيء من السنن الكونية ".[١]

ويقول : " فان العلم ، حين أثبت استحالة السنن الكونية على الناس ، قد أثبت أن المعجزات اذا ثبت وقوعها - ووقوعها ثابت بشهادة الكتب المنزلة كلها وشهود العيان - لا يمكن أن تكون سحر ساحر ولا شعوذة مشعوذ ، ولا عمل أحد من الخلق ".[٢]

أما كون المعجزة خرقا للسنن الكونية فجدير أن يكون موضع نظر . لأن الذى نراه فى الأشياء مما نسميه نظام السببية ليس أكثر من رابطة مطردة تراها بعينك .. وهيهات أن يكون ذلك مستلزما لوجوب الاستمرار واستحالة الانفكاك . ان المسبب الأول لايعجزه شيء عن ابطال هذا التلازم والترابط الصورى الذى نراه ، وان كان طول الألف واستمرار الاتصال يثير فيك العجب والاستغراب من وقوع ذلك .[٣]

---

(١) محمد أحمد الغمراوى/الاسلام فى عصر العلم / ص ٩٩ .

(٢) المرجع السابق ص ٩٩ - ١٠٠ .

(٣) الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي / كبرى اليقينيات الكونية / ص ٢٣٠ - ٢٣١ .

ومن الناحية الثانية فاننا لو تأملنا ، لرأينـــا أن المألوف وغير المألوف من مظاهر الكون معجزة فى الحقيقـــة اذا ما غفلنا عن ملاحظة الخالق العظيم . فالكواكب معجزة ،وحركة الأفلاك معجزة ، وقانون الجاذبية معجزة ، والدورة الدموية فيـه معجزة ، والانسان فى ذاته معجزة !.. غير أننا ننسى - لطـــول الألف واستمرار الرؤية - وجه المعجزة فى هذا كله ، فنحسب جهلا وغرورا أن المعجزة ليست الا تلك التى تفاجئ ما اعتدنا ،وألفناه بالمعاكسة والتغيير.(١)

ويقول الشيخ مصطفى صبرى(٢) : " أما مخالفة المعجـــزات لسنة الكون فنحن نعترف بها ولا ندعي أن المعجزات من الأعمـال الطبيعية وأنها تنطبق مع سنة الكون التى هي سنة اللـــــه العمومية ، وانما هي منطبقة على سنة الله الاستثنائية . ونحن لا نقبل كون مخالفة المعجزات لسنة الكون مانعة عن وقوعهـــا

---

(١) الدكتور محمد البوطي /كبرى اليقينيات الكونية / ص ٢٣١ .

(٢) مصطفى صبرى : ١٢٨٦ - ١٣٧٣هـ = ١٨٦٩ - ١٩٥٤ م . من علمـاء الحنفية . فقيه باحث . تركي الأصل والمولد والمنشأ . ولـد فى توقات وتعلم بقيصرية فى الأناضول وعين مدرسا فى جامع محمد الفاتح باستانبول . ثم تولى مشيخة الاسلام فى الدولـــة العثمانية ، وقاوم الحركة الكمالية بعد الحرب العالمية الأولى وهاجر الى مصر وتوفي بها . أنظر : الزركلي /الأعلام /جـ ٧ ص ٢٣٦ .

بل ان هذه المخالفة لازمة مطلوبة لتكون المعجزة معجزة ،ولانقبل أن سنة الله بمعنى سنته فى الكون الطبيعي لن تجد لها تحويلا ولو كان المحول هو الله نفسه واضع تلك السنة ".[١]

ويقول: " ثم ليعلم الذين يتنازلون عن معجزات نبينا الكونية ويقصرون معجزاته على القرآن ارضاء لمنكرى المعجزات والخوارق من المستشرقين وتفضيلا لموافقتهم فى عقلية الانكار على تجشم معارضتهم ؛ أن القرآن مهما حبب اليهم وأعجبوا به فلا يبلغ تقديرهم واعجابهم مبلغ اعتباره معجزة تثبت بها نبوة محمد صلى الله عليه وسلم . وقد يطمع منهم أن يعدوه أفضل كتاب فى الدنيا وضعه البشر. أما أنه كلام الله أنزل على خاتم أنبيائه ليكون له معجزة النبوة فأمر خارق لسنة الكون لمن يقبله منكروا المعجزات والخوارق ".[٢]

ومجمل القول انه لا يقبل من هؤلاء أن ينزلقوا الى التأويل فى المعجزات عامة ومعجزات نبينا صلى الله عليه وسلم خاصة بحجة مخالفتها لمعروف العقول، وقضايا العلم ، وقوانين

---

(١) مصطفى صبرى/ موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين / جـ ٤ ص ١١٠ .

(٢) المرجع السابق جـ ٤ ص ١١١ .

المنطق، ومألوف سنن الحياة ، لأن معروف العقول، وقضايا العلم وقوانين المنطق، ومألوف سنن الحياة ، مخلوقة لله تعالى ، فهي في سلطان ربوبيته محكومة بوسع قدرته ، ومطلق سلطانه ، في تصريف شؤون خلقه ، فلا يسوغ في معروف العقول السليمة ، وقضايا العلم الصحيح ، وقوانين المنطق المستقيم ، أن تجعل حاكمة على خالقها والا كانت الألوهية ضربا من الوثنية التي يصطنعها النـــاس بعقولهم وعواطفهم وأخيلتهم .(١)

ومن ثم يتبين لنا أن سنن الله في الكون أجل مـــن أن تحيط بها معارفنا ، وتضبطها علومنا ، وأعظم من أن تكون حبيسة في دائرة عقولنا المحدودة وأن منها سننا عامة معهودة متعارفة وسننا خاصة تقع أحداثها عندما تتهيأ لها أسبابها ومقوماتها وخوارق العادات التي يجريها الله تعالى على يد أنبيائه ورسله من سنن الله وعادته في الكون ولكنها سنن خاصة جعلها اللـــه عنوانا على صدق رسله وتكريمهم .(٢)

---

(١) محمد الصادق عرجون/ معجزات الأنبياء/ ص ١٤ .

(٢) المرجع السابق ص ١٥ .

تنوع المعجزة ومناسبتها لبعثة كل نبي :

لاشك أن اختلاف معجزات الأنبياء في أجيال الناس هو مما اقتضته الحكمة الالهية التي جاءت المعجزات من أجلها ذلك أن الناس يختلفون باختلاف أزمنتهم وأمكنتهم فان كانت غاية المعجزة أن يرى الناس فيها صدق الرسول، وقيام الدليل على صحة دعواه، فكان لا بد أن تكون هذه المعجزة جارية مع تفكير من تلقاهم وتتحداهم آخذة بعقولهم وقلوبهم . فيما يدور في هذه العقول وما يختلج في تلك القلوب ، وبهذا تستولي المعجزة على كيان الناس وتخرس ألسنتهم وتقوم عليهم الحجة كاملة ، فاما أن يؤمنوا واما أن ينتظروا الهلاك الماحق الذي لا يبقي ولا يذر .

وان يكن من الممكن أن يتحقق المراد في المعجزة المادية الواحدة بأن تتكرر جيلا بعد جيل، فتظل أبدا متحديا قاهرة الا أن ذلك يذهب بكثير من تأثير المعجزة وينزل بقدر كبير من قدرها في أعين الناس .

فلو أن عصا موسى عليه السلام مثلا كانت هي المعجزة

التى يتناولها الرسل رسولا بعد رسول وكانت فى كل مرة وفى كل حال تطلع على الناس بتلك المعجزات التى كانت لها عند موسى أو بمعجزات أخرى غيرها ، لو أن ذلك كان لما كان لها على الناس ذلك السلطان الذى للمعجزة التى تجىء متفردة بوجودها ، والتى تجىء الى الناس على غير انتظار ، وعلى خلاف أية صورة يتصورونها ، ذلك أن أقل ما يقع للناس من المعجزة الواحدة المتكررة أنها ربما كانت وليدة الصدفة توارثها أصحابها خلفا عن سلف ، أو أنها بنيت تجربة ناجحة لرجل حاذق ماهر ، آثر بها نفسه ، وجعل سرها مستغلقا الا على من يختار ويرضى من ورثته أو تلاميذه وحواريه .

ثم ان حصر أمارات السماء فى أمر واحد على صورة واحدة متكررة فيه اتهام لقدرة الله عز وجل ، وفتح باب واسع للتشكك فى صدق الرسل عليهم السلام ، اذ أن القدرة الالهية لا حدود لها فكيف لا يراها الناس الا فى صورة واحدة تتكرر على الأجيال ؟

لهذا كان من تدبير الحكيم العليم القادر أن يكون فى يد كل نبي دليل صدقه الذى لا يشاركه فيه غيره ، ولم يحل لهم فى تفكير .(١)

---

(١) عبدالكريم الخطيب / الاعجاز فى دراسات السابقين / ص ٨٨-٩١ .

وكان من تدبير الحكيم العليم وتقديره أن تقع معجزات الرسل موقعها المناسب كي تؤتي ثمارها المرجوة . فيصيب الناس من ذلك الثمر على قدر ما في نفوسهم من استعداد للالتقاء بهذا الخير والافادة منه .

وأحسن مواقع الخير للناس أن يلقاهم من حيث تمتد أبصارهم وتتجه عزماتهم وتجتمع آمالهم انهم حينئذ يلقونه وكأنهم على موعد معه ، فيكون منهم التفات اليه واهتمام به واجتماع عليه ، يقلبونه بين أيديهم ، ويحتكمون فيه الى عقولهم فيحيا به من يحيا ويهلك به من يهلك . وليس كذلك الخير حين يطلع في الناس من اتجاه غير اتجاههم ، فيكون هو في واد والناس في واد آخر لا يلتفتون اليه ولا يقفون عنده ، انه ليس على الطريق التي يسلكونه .

لهذا كانت معجزات الرسل ، وهي خير مرسل من السماء للناس تطلع في القوم وكأنها أمل كان يضطرب في صدورهم فحققته الأيام ، أو حلم كانوا يظنونه أضغاث أحلام ، فجاءهم الرسول بتأويله وضيئا مشرقا كفلق الصبح .[1]

---

(١) عبدالكريم الخطيب / الاعجاز في دراسات السابقين / ص١٠٣-١٠٤ .

ومن المحتوم أن معجزة كل نبي يجب أن تكون مما نبغ فيه قومه حتى يكون التحدى نابغا وقويا ، واثباتا على قدرة الله سبحانه وتعالى ، فان الله عز وجل انما جعل معجزات الأنبياء عليهم السلام بالوجه الشهير أبرع ما يكون فى زمان النبي الذى أراد اظهاره[1] . فلا يرسل لقوم نبغوا فى الطب بمعجزة فى البلاغة فهذا الاحساس بالمعجزة لا يكون فيه التحدى القوى للانسان فالتحدى يجب أن يكون فى أمر نبغ القوم فيه حتى لا يتحدى الله قوما بأمر لا يعرفونه ، ولا موهبة لهم فيه ، وحتى يكون للتحدى قيمة . ومن هنا كانت مناسبة معجزة كل رسول فيما نبغ فيه قومه .[2]

---

(١) القرطبي/ المرجع السابق / جـ ١ ص ٧٨ .

(٢) محمد متولي الشعراوى/ معجزة القرآن/ ص ٨ .

الفرق بين المعجزة وغيرها من خوارق العادات :

تمهيـــــد :

ان الأمور التى فى الظاهر على غير السنن المعروفـــة أو الخارقة للعادات المعروفة ، منقولة عن جميع الأمم فى جميع العصور نقلا متواترا فى جنسه دون جميع أنواعه ، أو أفراد وقائعه وليست كلها خوارق حقيقية ، فان منها ما له أسباب مجهـــولة للجمهور ، وان منها لما هو صناعي يستفاد بتعليم خـــاص وان منها لما هو من خصائص قوى النفس فى توجيهها الى مطالبها .(١)

وعندما نتتبع أقوال العلماء فى شروط المعجزة نجـــد أنهم يضعون فروقا بين المعجزة وغيرها من خوارق العادات حتى لا تلتبس على الناس ويظنونها أمرا واحدا القاسم المشترك فيها الأمر الخارق للعادة . وقد رأيت مناسبا أن أذكر الفروق التـــى ذكرها العلماء قديما وحديثا وهي كالآتي :

١ ـ الفرق بين المعجزة والكرامة : اعلم أن المعجزات والكرامات متساوية فى كونها ناقضة للعادات ، غير أن الفرق بينهما

---

(١) محمد رشيد رضا / الوحي المحمدى / ص ٢٠٩ .

من وجوه ثلاثة : أحدها تسمية ما يدل على صدق الأنبياء معجزة وتسمية ما يظهر على الأولياء كرامة للتمييز بينهما .

الوجه الثاني : ان صاحب المعجزة لا يكتم معجزته بل يظهرها ويتحدى بها خصومه ويقول ان لم تصدقوني فعارضوني بمثلها وصاحب الكرامة يجتهد فى كتمانها ولا يدعي فيها .

والوجه الثالث : ان صاحب المعجزة مأمون التبديل معصوم عن الكفر والمعصية بعد ظهور المعجزة عليه . وصاحب الكرامة لا يؤمن حاله .(١)

٢ - الفرق بين المعجزة والسحر : هو أن المعجزة نفحة من نفحات الحق تخرج عن أفق الأسباب المعتادة ، والوسائل المشاهدة والغايات المألوفة . أما السحر وما أشبهه ، فانها فنون خبيثة ذات قواعد وأوضاع يعرفها كل من ألم بها ، ويصل الى وسائلها وغاياتها وكل من عالجها من بابها .(٢) والمعجزة شيء حقيقي واقعي والسحر أمر متخيل لا وجود له فى الخارج .

٣ - الفرق بين المعجزة والشعوذة : هو أن المعجزة تكون من قبل

---

(١) أنظر : عبدالقاهر البغدادى/ أصول الدين/ ص ١٧٤ - ١٧٥ .
ومجدالدين الفيروزابادى/ بصائر ذوى التمييز/ ج ١ ص ٦٦ .
(٢) الزرقاني / مناهل العرفان / ج ١ ص ٧٧ .

الله عز وجل حقيقة ، أما الشعوذة فهي خفة فى اليد بوساطتها يرى الشخص أشياء على أنها حقيقة وليست كذلك فى الواقع.(١)

٤ - الفرق بين المعجزة والارهاص : هو أن المعجزة لا تظهر الا عند دعوى النبوة أما الارهاص فهو أمر خارق للعادة يظهر على يد نبي قبل البعثة.(٢)

٥ - الفرق بين المعجزة والمعونة : هو أن المعجزة تأتي للدلالة على صدق مدعي النبوة ، أما المعونة فهي أمر خارق للعادة يظهر علي يد بعض العوام تخليصا من شدة.(٣)

٦ - الفرق بين المعجزة والاهانة : هو أن المعجزة واقعة موقع التصديق من قبله تعالى لمن يدعي النبوة ، أما الاهانة أمر خارق للعادة يظهر على يد كاذب مدع للنبوة خلاف مطلوبه.(٤)

٧ - الفرق بين المعجزة والاستدراج : هو أن المعجزة تظهر على يد النبي للدلالة على أنه مرسل من قبل الله عز وجل ، أما

---

(١) حسن أيوب / مع رسل الله وكتبه واليوم الآخر / ص ٦٢ .
(٢) المرجع السابق ص ٦٢ .
(٣) المرجع السابق ص ٦١ .
(٤) المرجع السابق ص ٦٢ .

الاستدراج فهو أمر خارق للعادة يظهر على يد فاسق مدع للألوهية.[1]

٨ - الفرق بين المعجزة والمخترعات الحديثة : اذا رجعت فيما تقدم من تعريف المعجزة وشروطها يتبين بها الفرق بعيدا والبون شاسعا بين المعجزة وما جد أو يجد فى العالم من عجائب العلم ، وروائع الفن وبدائع الاختراع. فالمعجزة ليست لها أسباب معروفة حتى تلتمس ويؤتى بمثلها . أما هذه المخترعات فان لها أسبابا معروفة عند أصحابها ويمكن معرفتها لمن لم يعرفها بيسر وسهولة متى التمسها من طريقها .[2]

وبهذا أكون قد أوضحت الغموض الذى يسوى عند البعض بين المعجزة والمخترعات الحديثة وغيرها ممن تعتبر من خوارق العادات وأنها لا يمكن أن تكون مثل المعجزة بحال من الأحوال.

---

(١) المرجع السابق ص ٦٢ .

(٢) الزرقاني / المرجع السابق / جـ ١ ص ٧٦ .

« الفصل الثاني »

« المرحلة الإعجازية بين مراحل الدعوة »

١- تمهيد .

٢- المرحلة الأولى « البلاغ » .

٣- المرحلة الثانية « إثارة الفطرة الإنسانية » .

٤- المرحلة الثالثة « جواب المدعوين لأنبيائهم ومناقشتهم إياهم .

٥- المرحلة الرابعة « المرحلة الإعجازية » .

تمهيـــــــد :

قبل أن نتحدث عن المعجزة وتأثيرها فى المدعوين يجدر الكلام عن المراحل التى مرت بها المعجزة حيث أنه لا يعقل أن يأتي النبي بالمعجزة للتحدى دون أن يطالب بالاتيان بهـــا وليس منطقيا أن يطالب بها قبل أن تحدث بينه وبين المدعويـــن مناقشات حول ما يدعوهم اليه ، ولم يكن هناك أى داع للمناقشة دون ابلاغ منه ودعوتهم الى عبادة الله وحده وتفنيد آلهتهـــم ومعبوداتهم التى كانوا يعبدونها من دون الله عز وجل.

وأنه لم يكن من السهل قبول الناس دعوة الرسل عليهم السلام من أول وهلة ، لأن من الناس من يريد التأكد والاطمئنـــان بطلب المعجزة على صدق دعوى الرسل، ومنهم من طلبها طمعا فـــى اظهار عجز الرسول بالاتيان بالمعجزة ومساندة آلهتهم ومعبوداتهم الباطلة والى غير ذلك من المصادمات التى حدثت بين الرســـل عليهم السلام وبين أقوامهم .

وفى السطور التالية سوف أحاول أن أستعرض باختصـــار المراحل التى مرت بها المعجزة لنرى مدى موضوعيتها . واللـــه أسأل التوفيق والسداد .

المرحلة الأولى: البلاغ:

ان البشرية بدأت طريقها مهتدية مؤمنة موحدة. ثم انحرفت الى جاهلية ضالة مشركة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه: " واني خلقت عبادى حنفاء كلهم وانهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا ".(١)

ومن هنا يأتيها رسول من قبل الله عز وجل بذات الحقيقة التى كانت عليها قبل أن تضل وتشرك. وهذه الحقيقة هي توحيد الله تعالى، وهي حقيقة واحدة يقوم عليها دين الله كله ويتعاقب بها الرسل جميعا على مدار التاريخ. فكل رسول يجيء انما يقول هذه الكلمة لقومه الذين اجتالتهم الشياطين عنها وعلى أساسها تدور المعركة بين الحق والباطل.(٢) وتلك الكلمة هي قول الله تعالى: " يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ".(٣)

لقد كان أول شيء بدأ به أنبياء الله تعالى أن دعوا

---

(١) أخرجه الامام مسلم فى صحيحه /كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب الصفات التى يعرف بها فى الدنيا أهل الجنة وأهل النار/ م ٤ ص ٢١٩٧، بتحقيق فؤاد عبدالباقي.

(٢) سيد قطب /فى ظلال القرآن / م ٣ ص ١٣٠٤.

(٣) سورة الأعراف آية ٥٩.

أقوامهم الى عبادة الله وحده وأبلغوهم رسالات ربهم وأقاموا حجة الله على الناس بتبليغ دينه . يقول الله تبارك وتعالى :

" لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ". (١)

ويقول تعالى : "وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ" (٢)

وقال تعالى : "وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ". (٣)

وقال تعالى : "وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ". (٤)

وقال تعالى : "وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ" (٥)

وقال تعالى : "يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ". (٦)

هذه هي بعض النماذج من القرآن الكريم التي تدل على

---

(١) سورة الأعراف آية ٥٩ .
(٢) سورة الأعراف آية ٦٥ .
(٣) سورة الأعراف آية ٧٣ .
(٤) سورة الزخرف آية ٤٦ .
(٥) سورة الزخرف آية ٦٣ - ٦٤ .
(٦) سورة المائدة آية ٦٧ .

أن الله تعالى بعث أنبياءه الى الناس وكلفهم بابلاغ الناس دينه الحق الذى ارتضاه لعباده . وكان منهج هؤلاء الرسل جميعا هو ابلاغهم ودعوتهم الى توحيد الله عز وجل المستحق للعبادة دون سواه ، ونرى ذلك واضحا فى أمره تعالى أنبياءه صلوات الله وسلامه عليهم أن يقولوا لأقوامهم : "يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ" وأمره تعالى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بصورة خاصة أن يبلغ قومه جميع ما أرسله الله به(١) وأن لا يجعل لأى اعتبار من الاعتبارات حسابا وهو يصدع بكلمة الحق . هذا والا فما بلغ وما أدى وما قام بواجب الرسالة .(٢)

---

(١) ابن كثير / تفسير القرآن العظيم / جـ ٢ ص ٧٧ .

(٢) سيد قطب / فى ظلال القرآن / م ٢ ص ٩٣٨ .

المرحلة الثانية : اثارة الفطرة[1] الانسانية :

هناك صراع مرير دار حول الظواهر النفسية وما ينشأ عنها من سلوك، وكل فريق يتمسك بوجهة نظره ، وعلى حلبة هذا الصراع يقف الفلاسفة وبعض علماء النفس يصرون على أن الانسان يحمل قوى داخلية يطلقون عليها ألفاظا معينة مثل: الغريزة والاستعداد ، والدوافع ، ولأنها طبيعية ونابعة من داخل الانسان ذاته فيعلنون عنها تحت اسم " الدوافع الفطرية "، ثم يختلفون في تحديدها عددا ومسمى .[2]

والذي يهمنا هنا أن نرى اثارة هذه الدوافع الفطرية من وجهة النظر الاسلامية وذلك لأن الدين ينظر الى الانسان على أنه كائن يحوى طبيعتين : مادية وروحية ، ويرى أن الطبيعة الروحية أسبق وآكد عند الانسان والكائنات الأخرى .

---

(١) الفطرة بالكسر الخلقة ، والفطر الشق ، يقال: فطره وانفطر وتفطر الشيء تشقق، والفطر أيضا الابتداء والاختراع، يقول تعالى: " فاطر السماوات والأرض أنت ولي في الدنيا والآخرة " الآية ١٠١ من سورة يوسف ، أنظر: محمد أبو بكر الرازي /مختار الصحاح/ ص ٥٠٦ - ٥٠٧ .

(٢) الدكتور عبدالله يوسف الشاذلي/ المنهاج القرآني/ ص ٦١ .

والدوافع الفطرية وحدها أو هي مع الظروف أقـــوى العوامل المتحكمة فى السلوك العاقل للانسان ، والى فكـــرة الدوافع الفطرية ، والتأثر بالبيئة والتربية والتعليم يأتي قوله صلى الله عليه وسلم :" ما من مولود الا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ؟".(١)

فالجزء الأول من الحديث وهو " مامن مولود الا يولـــد على الفطرة " يشير الى الدوافع المركوزة قبل تأثرها بالجو المحيط بها ، والجزء الثاني " فأبواه يهودانه ..." الخ يفيد التأثر بالبيئة والتنشئة .(٢)

واذا تتبعنا الدوافع الغريزية فى النفس البشريـــة رأينا أنها تتكشف بوضوح من خلال احساس ظاهر متصل بها فجميع الغرائز البدنية نحس بها بشكل لا خفاء فيه ، مثل غريزة الجوع وغيرها . فهل غريزة التدين ، أو فطرية الدافع الدينـــي

---

(١) أخرجه الامام البخارى فى صحيحه / كتاب القدر ، باب الله أعلم بما كانوا يعملون / ج ٦ ص ٢١٠ ، وأخرجه الامام مسلم /كتاب القدر ، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة ، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين/ م ٤ ص ٢٠٤٧ .

(٢) الدكتور عبدالله الشاذلي/ المرجع السابق/ ص ٦٣ .

على هذا النحو من الوضوح الذى نجده فى الغرائز الأخرى ؟ ان هذا الدافع كامن فى أعماق النفس مع غيره من الدوافع وليس له وعاء يتقلص للتعبير عنه كما تتقلص المعدة مثلا للتعبير عن غريزة الجوع ، واذا كان القلب وعاء المشاعر النبيلة والاحساس الديني والتصديق العقدى فاننا لا نشعر له بحركة خاصة تعبر عن رغبة فى موضوع معين يصدق به ، وتقودنا الى تلك الحركة الطارئة أو تدفعنا لاشباعها بمعبود خاص .

ولما كان حال الدافع الديني على هذا النحو ، وأن مطلوبه على الحقيقة ليس شبيها بهذه الموجودات ، ونظرا لأن هذا الشعور ليس له عضو وثيق الصلة به فى الوظيفة والتعبير فان غريزة التدين المستكنة فى النفس تكون أخفى بكثير من بقية الغرائز ذات الأعضاء المرتبطة بها ، ويزيدها خفاء ما يعتريها من التعكير ، وما يطرأ عليها من أطمار المؤثرات المحيطة بها .(١)

ما دامت الدافعية الفطرية للتدين على هذا النحو من الخفاء فانها تحتاج الى من يحركها ، ويوقظها من ثباتها

---

(١) المرجع السابق ص ٨٢ - ٨٤ ، باختصار .

ويطرح عن كاهلها ركام الغفلات ، ويمهد الطريق أمامها للظهور بقوة وحماس من جديد .

ان دافعية التدين يثيرها الحديث عن الله في ذاته وصفاته وأفعاله واكرامه للبشر وامتنانه عليهم بشتى أنواع المنن . وعندما ترد هذه المثيرات تغلي النفس وتتحرك فيبرز الدافع الديني الفطري ويصحو ، وينفعل مع الموقف المثير ويستجيب له ، فالاستثارة للدافع الديني ضرورية للغاية وبمقدار توفيقنا في تنبيه هذا الدافع تكون درجة الاستجابة .(١)

---

(١) الدكتور عبدالله الشاذلي/المرجع السابق/ ص ٨٤ - ٨٥ .

المرحلة الثالثة : جواب المدعوين لأنبيائهم ومناقشتهم اياهم :

لقد أرسل الله سبحانه وتعالى كل رسول الى قومه وقالوا : " يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ " . وقال كل منهم : " أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ " . معبرين عن ثقل التبعة ، وخطورة ما يعلمون من عاقبة ماهم فيه من الجاهلية فى الدنيا والآخرة ، ورغبته فى هداية أقوامهم ، وفى كل مرة وقف الملأ من علية القوم وكبرائهم فى وجه كلمة الحق هذه ، ورفضوا الاستسلام لله رب العالمين . وأبوا أن تكون العبودية والدينونة لله وحده ، وهي القضية التى قامت عليها الرسالات كلها وقام عليها دين الله كله ، وهنا يصدع كل رسول بالحق فى وجه الطاغوت[1] . قال تعالى : لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ " . (٢)

وقال تعالى : " وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَٱذْكُرُوٓا

---

(١) سيد قطب / فى ظلال القرآن / م ٣ ص ١٣٠٥ .

(٢) سورة الأعراف آية ٥٩ - ٦٣ .

إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ". (١)

وقال تعالى: " وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (٢).

وقال تعالى: " ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ". (٣)

وقال تعالى: " حم تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ". (٤)

---

(١) سورة الأعراف آية ٦٥ - ٦٩ .
(٢) سورة الأعراف آية ٧٣ - ٧٦ .
(٣) سورة المؤمنون آية ٤٥ - ٤٩ .
(٤) سورة فصلت آية ١ - ٦ .

ان الجاهلية هي الجاهلية فلا تتغير الا الأشكال والظروف ذلك رد العلية المتكبرين.. الملأ .. كبار القوم المتصدرين يكاد يكون رد الملأ من قوم كل نبي على نمط واحد كأنهم عاشوا في زمن واحد وهو قولهم : ما نراك الا بشرا مثلنا ؟ أجعل الآلهة الها واحدا ؟ ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون ؟ والى غير ذلك من الاتهامات الخطيرة . ومن هذا الموقف الموحد بين أقوام الأنبياء في عدم اعترافهم برسلهم نرى أن الشبهات ذاتها ، والاتهامات ذاتها ، والكبرياء ذاتها ، والاستقبال الغبي الجاهل المتعافي من الملأ من قوم نوح عليه السلام الى كفار قريش ، تعميهم مكانتهم الدنيوية عن رؤية هذه الخصائص العلوية ، فلا يدركون مبررا لاختصاص الرسل بالرسالة . وهي في زعمهم لا تكون لبشر . وان كانت فهي لأمثالهم من الوجهاء العالين في الأرض .(١)

وهكذا يعجب القوم مما لا عجب فيه ، بل يستنكرون ما هو واجب وحق ، ويدهشون لأن يدعوهم أنبياؤهم الى عبادة الله وحده . لماذا ؟ لا لحجة ولا لبرهان ولا لتفكير . ولكن لأن آباءهم كانوا يعبدون تلك الآلهة .

---

(١) سيد قطب / المرجع السابق / م ٤ ص ١٨٧٢ .

وهكذا يبلغ التحجر بالناس أن يعجبوا من الحق البين. وأن يعللوا العقائد بفعل الآباء. وهكذا يتبين كل مرة أن عقيدة التوحيد هي في صميمها دعوة للتحرر الشامل الكامل الصحيح. ودعوة الى اطلاق العقل البشرى من عقال التقليد، ومن أوهام الوهم والخرافة التى لا تستند الى دليل.(١)

ووقف رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم يواجهون هذا كله، فى سبيل ابلاغهم دعوة الاسلام صامدين وصابرين يتحملون أذاهم من القول والفعل لا يتمنون لهم الا خيرا، ولم يكتفوا بهذا كله، بل ظلوا يناقشونهم فيما يدعون اليه من قبل رسل الله، ولا يتبعونهم حتى بعد ما رأوا أن ما يدعون اليه هو الحق وأن ما هم عليه الباطل.

---

(١) سيد قطب / المرجع السابق/ م ٤ ص ١٩٠٧ - ١٩٠٨.

المرحلة الرابعة : المرحلة الاعجازيـــــة :

هكذا دارت المناقشات الطويلة والعريضة بين الأنبياء عليهم السلام وبين أقوامهم حول ابلاغهم أقوامهم أنه ليس هناك اله غير الله عز وجل يستحق العبادة وهو قولهم اياهم : " يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ " ، و حـــاول المـــلأ من أقوامهـــم أن يزعزعوهـــم عما هم فيه وأن ينتصروا عليهم بالشبه الواهية فتارة يرمونهم بالجنون وتارة بالسحر وتارة أخرى بقولهـــم : " مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا " . تلك هي الشبهة الأخيرة التي ظلت تخايـــل البشرية كلما جاءها رسول . وقد كان تصور البشرية القاصر للرسول عجيبا دائما ، وما كانت تدرك حكمة الله في أن يكون الرســـول بشـــرا .

وكانت البشرية تتصور الرسول خلقا آخر غير البشر . أو هكذا ينبغي أن يكون ، ما دام يأتي اليها بخبر السماء وخبـــر الغيب ، وخبر العالم المحجوب عن البشر .

وكانت البشرية جيلا بعد جيل على نمط واحد وهو : أنهـــا تصر على موقفها من الأنبياء ورفض فكرة اتصال البشر بالمـــلأ

الأعلى ، وبالتالي كانت ترفض فكرة النبوة والوحي . لذلك نرى نماذج كثيرة من القرآن الكريم يحدثنا عن الأنبياء وموقف أقوامهم منهم بصورة عامة وعن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والمشركين بصورة خاصة ، كيف حاولوا بشتى الطرق دحض فكرة النبوة ، ولكن اذا ما وجدوا مواجهة من الرسول واصرارا على دعواه لجأوا الى أسلوب آخر وهو طلب معجزة خارقة للعادة من الرسول تدل على أنه حقا مرسل من الله سبحانه وتعالى .

قال تعالى حكاية عن قوم صالح عليه السلام عندما قالوا لنبيهم : " مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ قَالَ هَـٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ " .(١)

قال ابن كثير(٢) في تفسيره : " ثم انهم اقترحوا عليه آية يأتيهم بها ليعلموا صدقه بما جاءهم به من ربهم ، وقد اجتمع ملأهم وطلبوا منه أن يخرج لهم الآن من هذه الصخرة ناقة عشراء - وأشاروا الى صخرة عندهم - من صفتها كذا وكذا فعند ذلك أخذ

---

(١) سورة الشعراء آية ١٥٤ - ١٥٦ .

(٢) ابن كثير : ٧٠١ - ٧٧٤ هـ = ١٣٠٢ - ١٣٧٣ م ، اسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن درع القرشي البصروى ثم الدمشقي ، أبو الفداء ، عماد الدين ، حافظ مؤرخ فقيه . ولد في قرية من أعمال بصرى الشام ، وانتقل مع أخ له الى دمشق سنة ٧٠٦ هـ ، ورحل في طلب العلم . وتوفي بدمشق . تناقل الناس تصانيفه في حياته ، أنظر : الزركلي / الأعلام / جـ ١ ص ٣٢٠ .

عليهم نبي الله صالح العهود والمواثيق لئن أجابهم الى ما سألوا ليؤمنن به وليتبعنه فأعطوه ذلك".(١)

وقال تعالى عن موسى عليه السلام وعن فرعون وملأه:

" قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ".(٢)

قال فرعون لموسى عليه السلام: ان كنت قد جئت مؤيدا بآية من عند من أرسلك كما تدعي فأتني بها وأظهرها لدى ان كنت ممن يقول الصدق ويلتزم قول الحق.(٣)

ذلك أنه اذا اتضح أن هذا الداعية الى ربوبية رب العالمين كاذب فى دعواه، سقطت دعوته، وهان أمره، ولم يعد لهذه الدعوة الخطيرة من خطر، وصاحبها دعي لا بينة عنده ولا دليل.(٤)

من هنا نرى أن نهاية المحاورة بين الرسل والمدعوين هو طلب المعجزة وهي آخر ما فى جعبة المعاندين المتعنتين

---

(١) ابن كثير/ تفسير القرآن العظيم / جـ ٣ ص ٣٤٤ .
(٢) سورة الأعراف آية ١٠٦ - ١٠٨ .
(٣) المراغي/ تفسير المراغي / م ٣ جـ ٩ ص ٢٤ .
(٤) سيد قطب / المرجع السابق/ م ٣ ص ١٣٤٧ .

الذين لا يريدون الاستسلام أمام الحق الذى جاء به الرسل من قبل الله سبحانه وتعالى. وعندما لا يجدون منفذا بعد الاتيان بالمعجزة ، يعلنون مخاصمة النبي ومعاداته ، ذلك أنهم عندما يرون أن كل المحاولات للوقوف أمام دعوة الحق لا تجدى لم يبق أمامهم الا المحاولة الأخيرة أو طرح كل ما يملكون لعلها أن تأتي بنتيجة ، ولكن دون جدوى لأن الرسل عليهم السلام مؤيدون من قبل من أرسلهم وهو الله سبحانه وتعالى بآيات باهرات ومعجزات خارقة للعادة وبينات واضحات ، ولذلك لم يكن من الصعب الاتيان بالمعجزة باذن الله وذلك حسب حاجة الموقف .

ونختم هذه المرحلة بذكر قصة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وموقف المشركين ازاء طلب المعجزات ، وهل طلبوها كما طلبها من سبقهم من الأمم ؟ أم كان لهم غرض آخر من وراء هذه الاقتراحات ؟

عندما نقرأ القرآن الكريم نجد أن فى طلب المشركين الآيات من النبي صلى الله عليه وسلم تعنت واحراج له صلى الله عليه وسلم بالغا أشده ، واساءة الأدب مع الله عز وجل ومع رسوله صلى الله عليه وسلم فى اقتراحاتهم . فمرة يقولون :

ائت لنا بقرآن غير هذا القرآن أو بدله ، ومرة أخرى يقترحون عليه أن يأتيهم بالملائكة تشهد له بالصدق ، وتدل الناس على أنه رسول من عند الله ..الخ ما طلبوا منه صلى الله عليه وسلم التى سوف نراها فى النماذج الآتية .

قال تعالى : " وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُّنظَرِينَ . (١)

وقال تعالى : " وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا " . (٢)

وقال تعالى : " وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا . (٣)

وقال تعالى : " وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ ۖ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ . (٤)

---

(١) سورة الحجر آية ٦ - ٨ .
(٢) سورة الفرقان آية ٢١ .
(٣) سورة الاسراء آية ٩٠ - ٩٥ .
(٤) سورة العنكبوت آية ٥٠ - ٥١ .

انه طلب عجيب لا يصدر عن جد، وانما يصدر عن عبث وهزل، وعن جهل كذلك بوظيفة هذا القرآن وجدية تنزيله. وهو طلب لا يطلبه الا الذين لا يظنون أنهم سيلقون الله. لأن هذا القرآن دستور حياة شامل، منسق بحيث يفي بمطالب هذه البشرية فى حياتها الفردية والجماعية، ويهديها الى طريق الكمال فى حياة الأرض بقدر ما تطيق. ثم الى الحياة الأخرى فى نهاية المطاف. ومن يدرك القرآن على حقيقته لا يخطر له أن يطلب سواه، أو يطلب تبديل بعض أجزائه.

وأغلب الظن أن أولئك الذين لا يتوقعون لقاء الله كانوا يحسبون أن المسألة مجرد مهارة، ويأخذونها مأخذ المباريات فى أسواق العرب فى الجاهلية. فما على محمد الا أن يقبل التحدى ويؤلف قرآنا آخر، أو يؤلف جزءا مكان جزء.(١)

هكذا قصر ادراكهم عن التطلع الى آفاق الاعجاز القرآني فراحوا يطلبون تلك الخوارق المادية، ويتمنتون فى اقتراحاتهم الدالة على الطفولة العقلية، أو يتبجحون فى حق الذات الالهية بلا أدب ولا تحرج. وعلقوا ايمانهم بالرسول صلى الله عليه وسلم

---

(١) سيد قطب / المرجع السابق/ م ٣ ص ١٧٧١.

بأن يفجر لهم من الأرض ينبوعا . أو بأن تكون له جنة من نخيل وعنب يفجر الأنهار خلالها تفجيرا الخ،ما طلبوه منه صلى الله عليه وسلم . وتبدوا طفولة الادراك والتصور، كما يبدو التعنت فى هذه المقترحات الساذجة . وهم يسوون بين البيت الزخرف والعروج الى السماء ، أو بين تفجير الينبوع من الأرض ومجيء الله سبحانه وتعالى والملائكة قبيلا. والذى يجمع فى تصورهم بين هذه المقترحات كلها هو أنها خوارق . فاذا جاءهم بها نظروا فى الايمان له والتصديق به .

وغفلوا عن الخوارق الباقية فى القرآن، وهم يعجزون عن الاتيان بمثله فى نظمه ومعناه ومنهجه ، ولكنهم لا يلمسون هذا الاعجاز بحواسهم فيطلبون ما تدركه الحواس .(١)

قال ابن كثير فى تفسيره :" عن ابن عباس أن مجموعة من صناديد قريش اجتمعوا يوما بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة فقال بعضهم لبعض ابعثوا الى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه ، فبعثوا اليه أن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك، فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا وهو

---

(١) سيد قطب / المرجع السابق/ م ٤ ص ٢٢٥٠ .

يظن أنه قد بدا لهم فى أمره بدء وكان حريصا عليهم يحسب رشدهم ويعز عليه عنتهم حتى جلس اليهم ، فقالوا يا محمد ، انا قد بعثنا اليك لنعذر فيك وانا والله ما نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك لقد شتمت الآباء وعبت الدين وسفهت الأحلام وشتمت الآلهة وفرقت الجماعة فما بقي من قبيح الا وقد جئته فيما بيننا وبينك، .... الى أن قالوا :يا محمد ، فان كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك فقد علمت أنه ليس أحد من الناس أضيق منا بلادا ولا أقل مالا ولا أشد عيشا منا فاسأل لنا ربك الذى بعثك بما بعثك به فليسير عنا هذه الجبال التى قد ضيقت علينا وليبسط لنا بلادنا وليفجر فيها أنهارا كأنهار الشام والعراق وليبعث لنا من مضى من آبائنا وليكن فيمن يبعث لنا منهم قصي بن كلاب فانه كان شيخا صدوقا فنسألهم عما تقول حق هو أم باطل؟ فان صنعت ما سألناك وصدقوك صدقناك وعرفنا به منزلتك عند الله وأنه بعثك رسولا كما تقول. فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما بهذا بعثت انما جئتكم من عند الله بما بعثني به فقد بلغتكم ما أرسلت به اليكم فان تقبلوه فهو حظكم

فى الدنيا والآخرة ، وان تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم ، قالوا : فان لم تفعل لنا هذا فخذ لنفسك فسل ربك أن يبعث ملكا يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك وتسأله فيجعل لك جنات وكنوزا وقصورا من ذهب وفضة ويغنيك بها عما نراك تبتغي فانك تقوم بالأسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه حتى نعرف فضل منزلتك من ربك ان كنت رسولا كما تزعم . فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أنا بفاعل ما أنا بالذى يسأل ربه هذا وما بعثت بهذا ولكن الله بعثني بشيرا ونذيرا فان تقبلوا ما جئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة وان تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم. قالوا : فأسقط السماء كما زعمت أن ربك ان شاء فعل ذلك فانا لن نؤمن لك الا أن تفعل. فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذلك الى الله ان شاء فعل بكم ذلك، فقالوا يا محمد: أما علم ربك أنا سنجلس معك ونسألك عما سألناك عنه ونطلب منك ما نطلب فيقدم اليك ويعلمك ما تراجعنا به ويخبرك ما هو صانع فى ذلك بنا اذا لم نقبل منك ما جئتنا به ، فقد بلغنا أنه انما يعلمك هذا رجل باليمامة يقال له الرحمن وانا

والله لا نؤمن بالرحمن أبدا فقد أعذرنا اليك يامحمد أما والله ما نتركك وما فعلت بنا حتى نهلكك أو تهلكنا ، وقال قائلهم نحن نعبد الملائكة وهي بنات الله ، وقال قائلهم لن نؤمن لك حتى تأتي بالله والملائكة قبيلا. فلما قالوا ذلك قام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم وقام معه عبدالله بن أبي أمية بن المغيرة وهو ابن عمته عاتكة بنت عبدالمطلب فقال يامحمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ثم سألوك لانفسهم أمورا ليعرفوا بها منزلتك من الله فلم تفعل ذلك ثم سألوك أن تعجل لهم ما تخوفهم به من العذاب فوالله لا أؤمن بك أبدا حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى به وأنا أنظر حتى تأتيها وتأتي معك بصحيفة منشورة ومعك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول، وأيم الله لو فعلت ذلك لظننت أني لا أصدقك، ثم انصرف عن رسول الله وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهله حزينا أسفا لما فاته مما كان طمع فيه من قومه حين دعوه ولما رأى من مباعدتهم اياه.[1]

---

(١) أنظر القصة بالتفصيل في: تفسير القرآن العظيم /لابن كثير/ ج ٣ ص ٦٢ - ٦٣، والبداية والنهاية /لابن كثير/ ج ٣ ص ٥٠-٥١. وسيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٧١ باختصار.

وفيما سبق نرى أن المعاندين المتعنتين من الكفار ممن توجه اليهم أنبياء الله بدعوتهم الى توحيد الله عز وجل طلبوا منهم أن يأتوهم بآيات بعضها عينت من قبلهم كقوم صالح عليه السلام الذين عينوا المعجزة ووصفها وحددوا مكان خروجها . وبعضها لم تعين، بل المهم أن تكون آية معجزة لا يستطيع أن يأتي أحد من الناس بمثلها ، وتكون دليلا على صدقه .

أما فيما يتعلق بمقترحات المشركين على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فلم يجابوا الى ما طلبوا وما اقترحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم للأسباب الآتية :

أولا : انه لو استجاب لهم فلم يؤمنوا لعذبهم الله كما عذب قوم صالح عليه السلام عندما طلبوا المعجزة وجاءتهم كما عينوها ولكن بعد مجيئها كذبوا بها ، فعذبهم الله عز وجل بارسال الصيحة[1] عليهم . وكذلك جاءت الآيات فرعون فكذب بها وطارد موسى فأغرقه الله تعالى وجنوده . والمعنى أن الذين يطلبون الآيات ثم لا يؤمنون بها يكون مصيرهم الهلاك المحتوم .

---

(١) الصيحة : الصوت بأقصى الطاقة ، أنظر : الفيروزابادى / القاموس المحيط / م ١ ص ٢٣٦ .

ثانيا: ان ما طلب المشركون من رسول الله صلى الله عليه وسلم أنواعا من الآيات الخارقة للعادات، انما كان ذلك على وجه التعنت والعناد، لا على وجه طلب الهدى والرشاد. فلهذا لم يجابوا الى كثير مما طلبوا ولا ما اليه رغبوا، لعلمه سبحانه وتعالى أنهم لو عاينوا وشاهدوا ما أرادوا لاستمروا في طغيانهم يعمهون، ولظلوا في غيهم وضلالهم يترددون.

ثالثا: انه كان قد سبق في علم الله سبحانه وتعالى لأكثر قريش والعرب أن سيؤمنوا، ويكون لهم في نشر الاسلام والجهاد في سبيل الله شأن عظيم. فاقتضت حكمة الله ورحمته، بعد أن كذب من كذب منهم بمعجزة انشقاق القمر أن يحبس الله عمن غاب عنها غيرها من المعجزات الحسية، بل يكتفي في ذلك بالمعجزة العقلية العلمية فقط.

رابعا: ان الله أراد أن يدل قريشا أن محمدا ما هو الا رسول يبلغ عن الله ولو أراد الله ارسال معجزة فهو الذي يحددها ويعينها، لأنه رب المعجزات وهي لا تكون الا من عنده تعالى.

خامسا: ان معجزة الاسلام الكبرى هي القرآن الكريم، وهو كتاب

يرسم منهجا كاملا للحياة . ويخاطب الفكر والقلب ، ويلبي الفطرة القويمة ، ويبقى مفتوحا للأجيال المتتابعة تقرؤه وتؤمن به الى يوم القيامة . أما الخارقة المادية فهي تخاطب جيلا واحدا وتقتصر على من يشاهدها من هذا الجيل . ثم ان طبيعة الرسالة التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم تقوم على الاقناع قبل كل شيء حتى جعلت معجزتها فيه الذي امتلأ بالحجج والبراهين. ولأنها رسالة الرشد البشري تخاطب مدارك الانسان جيلا بعد جيل وتحترم ادراكه الذي تتميز به بشريته والذي من أجله كرمه الله وفضله على كثير من الخلق .

سادسا: ولا يعني ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يؤت معجزة غير القرآن الكريم حيث انه وردت آيات أخرى وأحاديث كثيرة صحيحة بل بعضها متواتر تبين أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أوتي معجزات باهرات غير القرآن الكريم مثل معجزة انشقاق القمر بدليل قوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾(١) والأحاديث في ذلك متواترة حسب ما صرح بذلك ابن كثير في تفسيره قال: "(وانشق القمر)، قد كان هذا في زمان رسول الله

---

(١) سورة القمر آية ١ .

صلى الله عليه وسلم كما ورد ذلك في الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة . وقد ثبت في الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شقتين فقال النبي صلى الله عليه وسلم اشهدوا.[1] وهذا أمر متفق عليه بين العلماء وقد وقع في زمان النبي صلى الله عليه وسلم وأنه كان احدى المعجزات الباهرات .[2]

وقد ذكر ابن كثير في تاريخه : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: اجتمع المشركون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .... فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : ان كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين نصفا على أبي قبيس ونصفا على قعيقعان فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ان فعلت تؤمنوا ؟ قالوا نعم . وكانت ليلة بدر فسأل الله عز وجل أن يعطيه ما سألوا فأمسى القمر قد سلب نصفا على أبي قبيس ونصفا على قعيقعان، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي يا أبا سلمة بن عبدالأسد والأرقم بن الأرقم اشهدوا .[3]

---

(١) أخرجه البخاري/باب سؤل المشركين / ج ٤ ص ١٨٦ .

(٢) ابن كثير/ تفسير القرآن العظيم / ج ٤ ص ٢٦١ .

(٣) ابن كثير/ البداية والنهاية / ج ٣ ص ١١٩ - ١٢٠ .

والى غير ذلك من الروايات التى تدل على أن أهل مكة طلبوا من الرسول صلى الله عليه وسلم معجزة فأراهم الله عز وجل انشقاق القمر. ولكن معظم هؤلاء الذين شهدوا انشقاق القمر من صناديد قريش لم يؤمنوا بها، بل قالوا: سحرنا ابن أبي كبشة. وذلك كما قال تعالى: "وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ".(١)

ثم بعدها حبس الله عز وجل كل ما طلبوا واقترحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم للأسباب السابقة ذكرها. والله أعلم.

وهناك معجزات أخرى كثيرة جدا ذكرها العلماء الأجلاء فى الكتب المخصصة لذلك، منها: معجزة الاسراء والمعراج، ومعجزة تكثير الطعام، ونبع الماء بين أصابعه صلى الله عليه وسلم وغيرها كثير، يطول بنا المقام لو حاولنا أن نعدها.

---

(١) سورة القمر آية ٢ - ٣.

"الفصل الثاني"

التأثير الإعجازي : نماذج وتطبيقات .

١ - تمهيد .

٢ - دلالة المعجزة .

٣- التأثير الإعجازي .

أ - تأثير المعجزة الحسية .

ب - تأثير المعجزة العقلية .

تمهيـــــــد :

لقد اقتضت سنة الله في خلقه أن يؤيد رسله بالآيات التي هي المعجزات بالمعنى الاصطلاحي في مواجهة تحـــــديات الجاحدين الذين ينكرون رسالات الله عنادا واستكبارا ، تحت سلطان الترف ، وتسفل الادراك من جهة ، ومن جهة أخرى لامـــداد المؤمنين على مدى الزمن بطاقات من قوة اليقين، ونـــــور البصيرة ، ونبات القلوب في مواجهة التحديات المادية الهائلة التي يهاجم بها المعاندون المؤمنين في ميدان الفكر وفي ميدان الحرب على السواء.(١)

هذه المعجزات تنقسم في حد ذاتها الى قسمين : القسم الأول المعجزات الحسية ، والقسم الثاني المعجزة العقليـــــة أو العلمية . ولقد كانت جميع معجزات الأنبياء السابقين وبعض معجزات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من النوع الاول، وكانت المعجزة الكبرى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم التي هـــو القرآن الكريم من النوع الثاني . والمعجزات الحسية تمضـــي بمضي أصحابها ، ولذلك لم يكن تأثيرها الا على بعض من شهدها . ويندر من يتأثر بها بعد ذلك .

---

(١) عبدالقادر أحمد عطا / دراسة في اعجاز القرآن، ملحق على كتاب أسرار التكرار في القرآن للكرماني / ص ٢٣١ .

أما المعجزة العقلية فهي معجزة خالدة باقية أمد الدهر في متناول أى باحث وأى طالب للحقيقة أن يلمسها.[1] ويكون تأثيرها على مر الزمن وبين جميع الأجيال المتعاقبة الى يوم القيامة وعلى هذا النحو المذكور فهم العلماء قوله صلى الله عليه وسلم " ما من الأنبياء نبي الا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وانما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله الي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة ".[2]

يقول ابن حجر[3] في فتح البارى :" هذا دال على أن النبي لا بد له من معجزة تقتضي ايمان من شاهدها بصدقه، ولا يضره من أصر على المعاندة ". ثم يقول:" والمعنى أن كل نبي أعطي آية أو أكثر من شأن من يشاهدها من البشر أن يؤمن به لأجلها الى أن قال:" وانما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله الي أى أن معجزتي التى تحديت بها الوحي الذى أنزل علي وهو القرآن لما اشتمل عليه من الاعجاز الواضح، وليس المراد حصر معجزاته

---

(١) عفيف عبدالفتاح طبارة /مع الأنبياء في القرآن/ ص ٢٣ .
(٢) أخرجه البخارى/كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي/ ج ٦ ص ٩٦، وأخرجه مسلم /باب وجوب الايمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم / ج ٢ ص ١٨٦ شرح النووى على صحيح مسلم .
(٣) ابن حجر: ٧٧٣ - ٨٥٢هـ = ١٣٧٢ - ١٤٤٩م، هو أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين ابن حجر من أئمة العلم والتاريخ، أصله من عسقلان ومولده ووفاته بالقاهرة ولع بالأدب والشعر ثم أقبل على الحديث وله كتب كثيرة جدا، أنظر: الزركلي/الأعلام / ج ١ ص ١٧٨ - ١٧٩ .

فيه ولا أنه لم يؤت من المعجزات ما أوتي من تقدمه ، بل المراد أنه المعجزة العظمى التى اختص بها دون غيره ".[١] ثم قال بعد أن أورد عدة أقوال فى معنى الحديث : ويحتمل أن يكون المعنى أن المعجزات الماضية كانت حسية تشاهد بالأبصار كناقة صالح وعصا موسى ، ومعجزة القرآن تشاهد بالبصيرة فيكون من يتبعه لأجلها أكثر ، لأن الذى يشاهد بعين الرأس ينقرض بانقراض مشاهده ، والذى يشاهد بعين العقل باق يشاهده كل من جاء بعد الأول مستمرا .[٢]

والناس ازاء المعجزة فريقان ، فريق ينكرها ويتهم صاحبها بالسحر والشعر والكهانة وغيرها من الافتراءات .وفريق يسلم بها عند وقوعها وتحدث فيه تأثيرا بالقبول والايمان.كما سنرى عمليا فى السطور القادمة ان شاء الله تعالى مدى تأثير كلا النوعين من المعجزات على البشرية وذلك بالنماذج والتطبيقات وقبل الخوض فى الكلام عن تأثير المعجزات الحسية والعقلية يحسن القول عن دلالة المعجزة .

---

(١) أنظر: ابن حجر/ فتح البارى / جـ ٩ ص ٦ .
(٢) المرجع السابق جـ ٩ ص ٧ .

دلالة المعجـــــزة :

ان العلم بصحة نبوة النبي قد يكون فرعا عن العلـــم بصحة المعجزة الدالة على صدقه في بعض الأحوال ولدى بعـــض البشر، اذا لم يضطرنا الله تعالى الى العلم بصدقـــه . واذا صحت هذه المقدمة وظهر على مدعي النبوة من فعل الله تعالى ما ينقض العادة مع دعواه الرسالة ، وكان الذي ظهر مطابقـــا لدعواه، وقد سبق بأن الله كان عالما بدعواه، وبمعناها ثم ظهر ما ادعاه عليه علم بذلك أنه تعالى قصد بذلك تصديقه له .

بل يكون التصديق له بالفعل أبعد من التهمة ،والتصديق له بالفعل لا يحتمل وجها سوى التصديق. فهذا وجه دلالة المعجزة على صدق من ظهرت عليه فيما لا يعرف فيه صدقه ولا كذبـــه الا بدلالـــة .(١)

ثم ان اقتران المعجزة بدعوى النبي نازل منزلـــــة التصديق بالقول وذلك أنه متى عرف من سنة الله تعالى أنـــه لا يظهر أمرا خارقا للعادة على يد من يدعي الرسالة عند وقت التحدي والاستدعاء الا لتصديقه فيما يجري به واجتماع هـــذه

---

(١) أنظر: البغدادي / أصول الدين / ص ١٧٨ - ١٧٩ .

الأركان انتهض قرينة قطعية دالة على صدق المدعي فكانت المعجزة بالفعل كالتصديق شفاها بالقول.(١)

وكما دلت بوقوعها على قدرة الفاعل وباختصاصها على ارادته وباحكامها على علمه، كذلك دلت بوقوعها استجابة لدعاء الداعي لا لدعوى المدعي على أن له عند الله حالة صدق ومقالة حق، ومن كانت دعوته مستجابة عند الله يستحيل أن يكون في دعواه كاذبا على الله وهذه هي حقيقة النبوة.(٢)

ثم ان قرينة الصدق ملازمة لتحدي النبي الصادق عن الله تعالى وذلك أن المعجزة تنقسم الى منع المعتاد والى اثبات غير المعتاد، ويكون لهذه المعجزة قرينة متصلة بنفس الدعوى حتى لا تخلو قط دعوى نبي من الأنبياء عن قرينة الصدق ولا تتأخر الدلالة عن نفس التحدي.(٣)

أما فيما يتعلق بأن الرسول يحيل نزول الآية الى مشيئة الله تعالى فان تلك الحوالة من أدل الأدلة على صدق المقالة اذ لو ادعى النبي الاستقلال باظهار الآيات ما كان مخبرا عن الله

---

(١) الشهرستاني/نهاية الاقدام في علم الكلام/ ص ٤٢١ .
(٢) المرجع السابق ص ٤٢٢ .
(٣) المرجع السابق ص ٤٢٣ - ٤٢٤ .

بأمره ولا داعيا الى الله باذنه فهو في كل حال من الأحـــوال يثبت حق موكله ويظهر العجز من نفسه ويحيل الحـــول والقـــوة الى مرسله[١]. فان المعجزة انما تدل على الصدق من حيث أنهـــا تنزل منزلة الخطاب بالتصديق[٢].

وقد قال العلامة ابن خلدون[٣] في مقدمته عن المعجـــزة، "أنها هي التي يستدل بها النبي صلى الله عليه وسلم قبـــل وقوعها على صدقه في مدعاه، فاذا وقعت تنزلت منزلة القـــول الصريح من الله بأنه صادق وتكون دلالتها حينئذ على الصـــدق قطعيـــة"[٤].

أيضا فانه لما أنعم الله على عباده ببعث النبيين والرسل فيهم، أتم نعمته عليهم فمنحهم بمقتضى حكمتـــه أدلة ساطعة تدلهم على الحق في دعوى الرسل، لينكشف لهم يقينا أنها رسالات الهية منيرة. وكان من أهم هذه الدلائل: المعجـــزات.

---

(١) الشهرستاني/ المرجع السابق/ ص ٤٢٧ - ٤٢٨.
(٢) سيف الدين الآمدي / غاية المرام في علم الكلام / ص ٣٣٤.
(٣) ابن خلدون: ٧٣٢ - ٨٠٨ هـ = ١٣٣٢ - ١٤٠٦ م، هو عبدالرحمن ابن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الاشبيلي، من ولد وائل بن حجر: الفيلسوف المؤرخ، العالم الاجتماعي البحاثة. أصله من أشبيلية، ومولده ومنشأه بتونس رحل الى فاس وغرناطة، ثم توجه الى مصر وولي فيها قضـــاء المالكية وتوفي فجأة في القاهرة. أنظر: الزركلي ج ٣ ص ٣٣٠.
(٤) ابن خلدون / المقدمة / ص ٩٣.

فان العاقل اذا علم بالمعجزة أو شاهدها تجرى على يد النبي خارقة سنن الطبيعة وخواص المادة ، وهو يتحدى بها الثقلين تحديا ينقل كواهلهم ويكشف عجزهم ، علم يقينا أنها أعظم بكثير من نتاج قدرة الخلائق وأنها لا محالة من رب العالمين خالق السماوات والأرض . وأنه تعالى ما أجراها على هذا النحو المثير المدهش المعجز الا توثيقا لرسالته وشهادة لنبيه فهي بمثابة قوله تعالى لعباده : صدق عبدى فيما يبلغ عني فآمنوا به واتبعوه وآزروه .(١)

فالمعجزة تقطع دابر الظن وتمنع العقلاء علما وثيقا وترسي في الفكر والفؤاد دعائم اليقين بصدق عباد الله المرسلين وتلزم العقلاء بالاذعان والايمان . ولا يصدر ذلك عنهم الا تجاوبا مع ما في أعماق فطرهم الانسانية السليمة .

---

(١) حسن ضياء الدين عتر/ بينات المعجزة الخالدة/ ص ٧٧ .

١ - تأثير المعجزة الحسية :

لا شك أن للمعجزة الحسية تأثيرها ودورها فى الدعوة الى الله سبحانه وتعالى ، ولكن فى نفس الوقت يحاول المعاندون الجاحدون أن يعللوها بعلل كي يهربوا عن الايمان بها ، مرة بأنها سحر ومرة أخرى بشبه واهية مختلفة ، وبتتبعنا للقرآن الكريم نجد أن الذين تأثروا بالمعجزة الحسية من قوم كل نبي نسبة ضئيلة جدا اذا ما قارناهم بالذين لم يتأثروا بها ، لذا نرى أن القرآن الكريم حكى لنا بايجاز عن الذين تأثروا بهذا النوع من المعجزة ، أما عن الذين لم يتأثروا بها فبتفصيل ولا يسعنا هنا أن نبين أسباب عدم تأثر هؤلاء بالمعجزة الحسية لأن المجال ضيق، حيث أننا بصدد بيان تأثير المعجزة الحسية لذا يجدر بنا أن نوضح موقف هؤلاء المتأثرين بالمعجزة الحسية.

ذكر ابن كثير فى تفسيره أن قوم صالح عليه السلام سألوا صالحا أن يأتيهم بآية واقترحوا عليه بأن تخرج لهم من صخرة صماء عينوها بأنفسهم وهي صخرة منفردة فى ناحية الحجر يقال لها الكاتبة فطلبوا منه أن تخرج لهم منها ناقة عشراء تمخض

فأخذ عليهم صالح عليه السلام العهود والمواثيق لئن أجابهم الله الى سؤالهم وأجابهم الى طلبتهم ليؤمنن به وليتبعنه فلما أعطوه على ذلك عهودهم ومواثيقهم قام صالح عليه السلام الى صلاته ودعا الله عز وجل فتحركت تلك الصخرة ثم انصدعت عن ناقة جوفاء وبراء يتحرك جنينها بين جنبيها كما سألوا فعند ذلك آمن رئيسهم جندع بن عمرو ومن كان معه على أمره وأراد بقية أشراف ثمود أن يؤمنوا فصدهم ذؤاب بن عمرو بن لبيد والحباب صاحب أوثانهم.(١)

هكذا تأثر بعض من أخذ منهم صالح عليه السلام العهود والمواثيق ان جاءهم بالمعجزة سيؤمنون ، ومع ذلك لم يؤمن به أكثرهم ، بل وقد أثروا فى غيرهم فى عدم الايمان بصالح عليه السلام كما حدث ذلك مع شهاب بن خليفة بن محلاة بن لبيد بن حراس الذى أراد أن يؤمن فنهاه أولئك الرهط من الكفار فأطاعهم.(٢) وقد يرجع ذلك الى ما وصفهم السيوطي(٣) فى كتابه الاتقان

---

(١) ابن كثير/ تفسير القرآن العظيم / ج ٢ ص ٢٢٨ .
(٢) المرجع السابق/ ج ٢ ص ٢٢٨ .
(٣) السيوطي: ٨٤٩ - ٩١١ هـ = ١٤٤٥ - ١٥٠٥ م ، هو عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيرى السيوطي جلال الدين: امام حافظ مؤرخ أديب، له نحو ٦٠٠ مؤلف . نشأ فى القاهرة يتيما ، ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس ، فألف أكثر كتبه . أنظر: الزركلي / الأعلام / ج ٣ ص ٣٠١ - ٣٠٢ .

حيث قال: " وأكثر معجزات بني اسرائيل - ومن قبلهم - كانت حسية لبلادتهم ، وقلة بصيرتهم ، وأكثر معجزات هذه الأمة عقلية لفرط ذكائهم ، وكمال أفهامهم ".(١)

ثم نأتي الى مشهد آخر أعظم من الأول وأبلغ في التأنيس ذلك المشهد الرائع هو التحدى الذى وقع بين موسى عليه السلام ومعجزة العصا من ناحية وبين سحرة فرعون وحبالهم من ناحية ثانية ، وذلك لما عجز فرعون عن مقاومة موسى عليه السلام وعدم اقناعه بالمعجزات التى أتى بها موسى عليه السلام من عند الله تعالى. ولما لم يجد بدا من ارداعه عما هو فيه واصراره دعوته الى الايمان برب العالمين، شاور فرعون ملأه في أمر موسى وأخيه فأشاروا اليه أن يجمع السحرة جميعا لعلهم سيغلبون موسى وأخاه فتعال معا لنرى ذلك المشهد العظيم كيف بدأ والى ماانتهى.

بدأت هذه القصة بمجادلة فرعون لموسى في قضية ربوبية الله عز وجل، وبعد مناقشة طويلة ومفحمة لفرعون، استشار فرعون الملأ ماذا يرون ؟ فكان جواب الملأ بأن قالوا: " قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٖ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرۡعَوۡنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ لَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن

---

(١) السيوطي/ الاتقان في علوم القرآن / جـ ٤ ص ٣ .

تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ قَالَ أَلْقُوا ۖ فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ .(١)

هكذا انتهت هذه المعركة العنيفة الخطيرة بغلبة موسى عليه السلام على السحرة ، ومما يزيد السحرة فضلا مبادرتهم الى الاستلام لله رب العالمين . ولا أريد أن أضيف أكثر مما هو موضع فى آيات الله السابقة ، لأنها خير تفسير لهذه الحادثة الا بتعليق علقها الاستاذ سيد قطب(٢) رحمه الله على الآيات الأخيرة قال: " والقى السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون".. انها صولة الحق فى الضمائر. ونور الحق فى المشاعر، ولمسة الحق للقلوب المهيأة لتلقى الحق والنور واليقين .. ان السحرة هم أعلم الناس بحقيقة فنهم ، ومدى ما يمكن أن يبلغ اليه . وهم أعرف الناس بالذى جاء به موسى ان كان من السحر والبشر ، أم من القدرة التى وراء مقدور

---

(١) سورة الأعراف آية ١١١ - ١٢٢ .

(٢) سيد قطب : ١٣٢٤ - ١٣٨٧ هـ = ١٩٠٦ - ١٩٦٦ م . هو سيد بن قطب بن ابراهيم : مفكر اسلامي مصرى ، من مواليد قرية موشا فى أسيوط، تخرج بكلية دار العلوم بالقاهرة ، وعمل فى جريدة الأهرام . أنظر: الزركلي / الأعلام / جـ ٣ ص ١٤٧ - ١٤٨ .

البشر والسحر. والعالم فى فنه هو أكثر الناس استعدادا للتسليم بالحقيقة فيه حين تتكشف له ، لأنه أقرب ادراكا لهذه الحقيقة ممن لا يعرفون فى هذا الفن الا القشور.. ومن هنا تحول السحرة من التحدى السافر الى التسليم المطلق، الذى يجدون برهانه فى أنفسهم عن يقين ".[1]

ان ظهور بطلان سحرهم وادراكهم فجأة لآية موسى وعلمهم بأنها من عند الله لا صنع فيها لمخلوق ملأ عقولهم يقينا وقلوبهم ايمانا فكأن اليقين الحاكم على الأعضاء والجوارح هو الذى ألقاهم على وجوههم سجدا لرب العالمين الذى بيده ملكوت كل شيء وزالت من نفوسهم عظمة فرعون الدنيوية الزائلة ، بعد أن ظهر لهم صغاره أمام هذه الآية[2] المبهرة المقنعة .

وعندما نأتي الى معجزات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الحسية نرى أن لمعظمها كان لها تأثير على من شاهدها فى ايمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم فمن ذلك على سبيل المثال ما روى الامام البخارى فى صحيحه :" عن عمران بن حصين

---

(١) سيد قطب / فى ظلال القرآن / م ٣ ص ١٣٥٠ .

(٢) أحمد مصطفى المراغي/ تفسير المراغي/ م ٣ جـ ٩ ص ٣٢ - ٣٣.

أنهم كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسير فأدلجوا ليلتهم حتى اذا كان وجه الصبح عرسوا فغلبتهم أعينهم حتى ارتفعت الشمس . فكان أول من استيقظ من منامه أبو بكر ، وكان لا يوقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم من منامه حتى يستيقظ فاستيقظ عمر . فقعد أبو بكر عند رأسه فجعل يكبر ويرفع صوته حتى استيقظ النبي صلى الله عليه وسلم فنزل وصلى بنا الغداة فاعتزل رجل من القوم لم يصل معنا . فلما انصرف قال : يا فلان ما يمنعك أن تصلي معنا ؟ قال : أصابتني جنابة فأمره أن يتيمم بالصعيد ، ثم صلى . وجعلني رسول الله صلى الله عليه وسلم في ركوب بين يديه ، وقد عطشنا عطشا شديدا . فبينما نحن نسير اذا نحن بامرأة سادلة رجليها بين مزادتين ، فقلنا لها : أين الماء فقالت : انه لا ماء . فقلنا كم بين أهلك وبين الماء ؟ قالت يوم وليلة . فقلنا انطلقي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : وما رسول الله ؟ فلم نملكها من أمرها حتى استقبلنا بها النبي صلى الله عليه وسلم . فحدثته بمثل الذي حدثتنا غير أنها حدثته أنها موتمة . فأمر بمزادتيها فمسح في

العزلاوين فشربنا عطاشا أربعين رجلا حتى روينا ، فملأنا كل قربة معنا واداوة ، غير أنه لم نسق بعيرا ، وهي تكاد تنض من الملء ثم قال هاتوا ما عندكم ، فجمع لها من الكسر والتمر حتى أتت أهلها . قالت : لقيت أسحر الناس أو هو نبي كما زعموا . فهدى الله ذاك الصرم بتلك المرأة فأسلمت وأسلموا ".[1]

وروى الامام البخارى عن جابر رضي الله عنهما أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم قفل معه فأدركتهم القائلة فى واد كثير العضاه ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرق الناس فى العضاه يستظلون بالشجر ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت سمرة فعلق بها سيفه قال جابر فنمنا نومة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا فجئناه فاذا عنده أعرابي جالس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا اخترط سيفي وأنا نائم فاستيقظت وهو فى يده صلتا فقال لي من يمنعك مني قلت له الله فها هو ذا جالس ثم لم يعاقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ".[2]

---

(١) أخرجه البخارى/كتاب المناقب، باب علامات النبوة / جـ٤ ص ١٦٨.
(٢) المرجع السابق/كتاب المغازى/ باب غزوة ذات الرقاع/جـ٥ ص ٥٣.

من هنا نرى أن للمعجزة الحسية تأثيرا على الناس ولكن مع كل ما فيها من التأثير فيظل هذا التأثير محصورا فى الذين شاهدوها فقط ، ولم ينتقل الينا الا خبرها ووجوب الايمان بها ، ولا يعني ذلك أنه لا ينبغي للداعية اليوم أن يستدل بهذه المعجزات الحسية وأنها لعبت دورا هاما فى اقناع مجموعة من الناس عبر تاريخ البشرية خلال دعوة رسل الله عليهم أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

وفى نهاية هذا العرض للمعجزة الحسية نقول انها لا تبهر العقل أو تصيبه بالكلل والأعياء كما يفعل ضوء الشمس فى حدقة العين، ولكنها تضع العقل فى ميزانه السوى ليفكر تفكيرا مثمرا من يستطيع أن يفعل ذلك الأمر الخارق للعادة؟ وعندما يطرح هذا السؤال على نفسه سوف يجيب فى النهاية باجابات توصله الى الايمان، وسوف يصل من وراء الحوادث الاعجازية بتلك الطريقة التأملية الى يقين ينطلق من نقطة الاعجاز، لكنه يمر على التفكير، ويستقر فى منطقة الشعور والادراك، ويعتمل فى العقل ثم تخرج نتائجه فى أغلب الأحيان عقلانية مقنعة ، هذا لمن وفقه الله وأراد له الهداية .

٢ - تأثير المعجزة العقلية (أو العلمية):

نظرا لأن الحوادث الاعجازية يكون تأثيرها شديدا على من يشاهدونها فحسب فقد اقتضت الحكمة الالهية أن يكون طابع الرسالات السابقة يغلب عليه الاعجاز الحسي، واذا هدأ تأثير الاعجاز لدى جماعة أدركهم نبي آخر يغلب عليه نفس الأسلوب وهكذا ظلت البشرية ردحا طويلا تتقلب بين أنبياء لهم من الامدادات الاعجازية ما لهم، ولكن التأثير يكاد ينعدم لو طال الزمن بين النبي والنبي، أو انقطع، ولذا اقتضت الحكمة الربانية من جديد أن يكون طابع الرسالة الخاتمة استدلاليا وأن تكون أدلة الاقناع موجودة في الكتاب المحفوظ وهو القرآن الكريم، بحيث يكون في متناول يد البشرية تقرأه سهلا ميسرا وتقتنع بما فيه من أدلة، ويقوم ايمانها على اليقين بالحجة لا الانبهار المؤقت بالاعجاز المحسوس.(١)

وفيما يلي سوف أقوم بعرض نماذج ممن تأثروا بالمعجزة العقلية ممن أسلموا من الناس والجن، وممن تأثروا بها ولكنهم لم يسلموا عنادا واستكبارا.

---

(١) الدكتور عبدالله الشاذلي/ الدعوة والانسان/ ص ٤٠٦.

أ - تأثر الذين أسلموا :

١ - اسلام عمر رضي الله عنه : لقد وردت روايات مختلفة عن اسلام عمر رضي الله عنه ، ونختار أقربها الى الموضوع : " يقول: كنت للاسلام مباعدا ، وكنت صاحب خمر فى الجاهلية ، أحبها وأسر بها ، وكان لنا مجلس يجتمع فيه رجال من قريش بالحزورة ، عند دور آل عمر بن عبد بن عمران المخزومي ، قال: فخرجت ليلة أريد جلساني أولئك فى مجلسهم ذلك، قال: فجئتهم فلم أجد فيه منهم أحدا ، قلت : لو أني جئت فلانا الخمار، وكام بمكة يبيع الخمر لعلي أجد عنده خمرا فأشرب منها . قال: فخرجت فجئته فلم أجده. قال: قلت : فلو أني جئت الكعبة فطفت بها سبعا أو سبعين قال: فجئت المسجد أريد أن أطوف بالكعبة ، فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي ، وكان اذا صلى استقبل الشام ، وجعل الكعبة بينه وبين الشام ، وكان مصلاه بين الركنين: الركن الأسود والركن اليماني . قال: فقلت حين رأيته ، والله لو اني استمعت لمحمد الليلة حتى أسمع ما يقول فقلت : لئن دنوت منه أستمع منه لأروعنه ، فجئت من قبل الحجر ، فدخلت تحت ثيابها ، فجعلت أمشي

رويدا ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي يقـــــرأ القرآن، حتى قمت في قبلته مستقبله ، ما بيني وبينه الا ثيـاب الكعبة . قال: فلما سمعت القرآن رق له قلبي فبكيت فدخلنـــي الاسلام ، فلم أزل قائما في مكاني ذلك، حتى قضى رسول اللـــه صلى الله عليه وسلم صلاته ، ثم انصرف ، وكان اذا انصرف خرج على دار ابن أبي حسين، وكانت طريقه حتى يجزع المسعى ، ثـم يسلك بين دار عباس بن المطلب، وبين دار ابن أزهر بن عبد عوف الزهري، ثم على دار الأخنس بن شريق، حتى يدخل بيته . وكـان مسكنه صلى الله عليه وسلم في الدار الرقطاء، التي كانـــت بيدي معاوية بن أبي سفيان. قال عمر رضي الله عنه : فتبعتـــه حتى اذا دخل بين دار عباس ودار ابن أزهر، أدركته ، فلمـــا سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم حسي عرفني، فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أني انما تبعته لأوذيه فنهمني ثم قال: ما جاء بك يا ابن الخطاب هذه الساعة ؟ قال: قلت : لأومن باللـــه وبرسوله ، وبما جاء من عند الله قال: فحمد الله رسول اللـه صلى الله عليه وسلم ، ثم قال: قد هداك الله يا عمر، ثم مسح صدري، ودعا لي بالثبات، ثم انصرفت عن رسول الله صلى اللـــه عليه وسلم ، ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته .(١)

---

(١) سيرة ابن هشام جـ ١ ص ٢٩٧-٢٩٨، والبداية والنهاية جـ٣ ص ٨١.

٢ - اسلام الطفيل بن عمرو الدوسي :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما يرى من قومه ، يبذل لهم النصيحة ، ويدعوهم الى النجاة مما هم فيه وجعلت قريش حين منعه الله منهم ، يحذرونه الناس ومن قدم عليهم من العرب .

وكان الطفيل بن عمرو الدوسي يحدث : أنه قدم مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بها ، فمشى اليه رجال من قريش ، وكان الطفيل رجلا شريفا شاعرا لبيبا ، فقالوا له : يا طفيل ، انك قدمت بلادنا ، وهذا الرجل الذى بين أظهرنا قد أعضل بنا ، وقد فرق جماعتنا ، وشتت أمرنا ، وانما قوله كالسحر يفرق بين الرجل وبين أبيه ، وبين الرجل وبين أخيه ، وبين الرجل وبين زوجته ، وانا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا ، فلا تكلمنه ولا تسمعن منه شيئا .

قال: فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئا ولا أكلمه ، حتى حشوت فى أذني حين غدوت الى المسجد كرسفا فرقا من أن يبلغني شيء من قوله ، وأنا لا أريد أن أسمعه .

قال: فغدوت الى المسجد، فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي عند الكعبة. قال: فقمت منه قريبا، فأبى الله الا أن يسمعني بعض قوله. قال: فسمعت كلاما حسنا. قال: فقلت في نفسي: واثكل أمي، والله اني لرجل لبيب شاعر ما يخفى علي الحسن من القبيح، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول فان كان الذى يأتي به حسنا قبلته، وان كان قبيحا تركته.

قال: فمكثت حتى انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيته فاتبعته، حتى اذا دخل بيته دخلت عليه، فقلت: يا محمد، ان قومك قد قالوا لي كذا وكذا، للذى قالوا، فوالله ما برحوا يخوفونني أمرك حتى سددت أذني بكرسف لئلا أسمع قولك ثم أبى الله الا أن يسمعني قولك، فسمعته قولا حسنا، فأعرض علي أمرك. قال: فعرض علي رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام، وتلا علي القرآن، فلا والله ما سمعت قولا قط أحسن منه ولا أمرا أعدل منه. قال: فأسلمت وشهدت شهادة الحق، وقلت: يا نبي الله، اني امرؤ مطاع في قومي وأنا راجع اليهم وداعيهم الى الاسلام، فادع الله أن يجعل لي آية تكون لي عونا عليهم فيما أدعوهم اليه، فقال: اللهم اجعل له آية[1]. الخ القصة.

---

(١) ابن هشام جـ ٢ ص ٢٢ - ٢٣، البداية والنهاية جـ ٣ ص ٩٩.

٣ - اسلام أبي ذر رضي الله عنه :

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال أبو ذر رضي الله عنه كنت رجلا من غفار فبلغنا أن رجلا قد خرج بمكة يزعم أنه نبي فقلت لأخي انطلق الى هذا الرجل كلمه وائتني بخبره فانطلق فلقيه ثم رجع فقلت ما عندك فقال والله لقد رأيت رجلا يأمر بالخير وينهى عن الشر، فقلت له لم تشفني من الخبر فأخذت جرابا وعصا ثم أقبلت الى مكة ، فجعلت لا أعرفه وأكره أن أسأل عنه وأشرب من ماء زمزم وأكون في المسجد ، قال فمر بي علي فقال: كأن الرجل غريب، قال قلت نعم . قال فانطلق الى المنزل قال فانطلقت معه لا يسألني عن شيء ولا أخبره ، فلما أصبحت غدوت الى المسجد لأسأل عنه وليس أحد يخبرني عنه بشيء قال فمر بي علي فقال أما نال للرجل يعرف منزله بعد قال قلت لا. قال انطلق معي قال فقال: ما أمرك وما أقدمك هذه البلدة ، قال قلت له : ان كتمت علي أخبرتك، قال فاني أفعل قال قلت له بلغنا أنه قد خرج ههنا رجل يزعم أنه نبي ، فأرسلت أخي ليكلمه فرجع ولم يشفني من الخبر فأردت أن ألقاه ، فقال له : أما انك قد رشدت هذا وجهي اليه فاتبعني ، ادخل حيث أدخل فاني ان رأيت

أحدا أخافه عليك قمت الى الحائط كأني أصلح نعلي وامض أنت فمضى ومضيت معه حتى دخل ودخلت معه على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت له أعرض علي الاسلام فعرضه فأسلمت مكاني، فقال لي يا أبا ذر أكتم هذا الأمر وارجع الى بلدك فاذا بلغك ظهورنا فأقبل. فقلت والذى بعثك بالحق لأصرخن بها بين أظهرهم، فجاء الى المسجد وقريش فيه فقال يا معشر قريش اني أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. فقالوا: قوموا الى هذا الصابئ فقاموا فضربت لأموت فأدركني العباس فأكب علي ثم أقبل عليهم، فقال ويلكم تقتلون رجلا من غفار ومتجركم وممركم على غفار، فاقلعوا عني. فلما أن أصبحت الغد رجعت فقلت مثل ما قلت بالأمس. فقالوا: قوموا الى هذا الصابئ فصنع مثل ما صنع بالأمس وأدركني العباس فأكب علي وقال مثل مقالته بالأمس. قال فكان هذا أول اسلام أبي ذر رحمه الله.(١)

---

(١) أخرجه البخاري/ كتاب المناقب باب اسلام أبي ذر/ جـ ٤ ص ١٥٨ ، ١٥٩ والبداية والنهاية جـ ٣ ص ٣٤ - ٣٥ .

٤ - اسلام أسيد بن حضير وسعد بن معاذ :

خرج أسعد بن زرارة بمصعب بن عمير يريد به دار بني عبدالأشهل، ودار بني ظفر، وكان سعد بن معاذ بن النعمان بن امرىء القيس بن زيد بن عبدالأشهل ابن خالة أسعد بن زرارة فدخل به حائطا من حوائط بني ظفر. قالا: على بئر يقال لها بئر مرق فجلسا في الحائط، واجتمع اليهما رجال ممن أسلم. وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير، يومئذ سيدا قومهما من بني عبدالأشهل، وكلاهما مشرك على دين قومه، فلما سمعا به قال سعد بن معاذ لأسيد بن حضير: لا أبا لك، انطلق الى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارينا ليسفها ضعفاءنا، فازجرهما وانههما عن أن يأتيا دارينا، فانه لو لا أن أسعد بن زرارة مني حيث قد علمت كفيتك ذلك، هو ابن خالتي، ولا أجد عليه مقدما، قال فأخذ أسيد بن حضير حربته ثم أقبل اليهما، فلما رآه أسعد بن زرارة، قال لمصعب بن عمير: هذا سيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه، قال مصعب: ان يجلس أكلمه. قال فوقف عليهما متشتما، فقال: ما جاء بكما الينا تسفهان ضعفاءنا؟ اعتزلانا ان كانت لكما بأنفسكما حاجة، فقال له مصعب: أو تجلس فتسمع

فان رضيت أمرا قبلته ، وان كرهته كف عنك ما تكره ؟ قال أنصفت ثم ركز حربته وجلس اليهما ، فكلمه مصعب بالاسلام ، وقرأ عليه القرآن، فقالا: فيما يذكر عنهما : والله لعرفنا فى وجهه الاسلام قبل أن يتكلم فى اشراقه وتسهله ، ثم قال: ما أحسن هذا الكلام وأجمله ، كيف تصنعون اذا أردتم أن تدخلوا فى هذا الدين؟ قالا له : تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك ، ثم تصلي. فقام فاغتسل وطهر ثوبيه ، وتشهد شهادة الحق، ثم قام فركع ركعتين، ثم قال لهما ان ورائي رجلا ان اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه وسأرسله اليكما الآن، سعد بن معاذ ، ثم أخذ حربته وانصرف الى سعد وقومه وهم جلوس فى ناديهم ، فلما نظر اليه سعد بن معاذ مقبلا، قال أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم فلما وقف على النادى قال له سعد : ما فعلت ؟ قال: كلمت الرجلين فوالله ما رأيت بهما بأسا ، وقد نهيتهما ، فقالا: نفعل ما أحببت ، وقد حدثت أن بني حارثة قد خرجوا الى أسعد بن زرارة ليقتلوه ، وذلك أنهم قد عرفوا أنه ابن خالتك، ليخفروك . قال فقام سعد مغضبا مبادرا ، تخوفا للذى ذكر له من بني حارثة فأخذ الحربة من يده ، ثم قال: والله ما أراك أغنيت شيئا ، ثم خرج

اليهما ، فلما رآهما سعد مطمئنين، عرف سعد أن أسيدا انما أراد منه أن يسمع منهما ، فوقف عليهما متشتما ، ثم قال لأسعد بن زرارة : يا أبا أمامة ، أما والله لو لا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا مني ، أتغشانا في دارينا بما نكره - وقد قال أسعد بن زرارة لمصعب بن عمير : أي مصعب، جاءك والله سيد من ورائه من قومه ، ان يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان - قال فقال له مصعب : أو تقعد فتسمع ، فان رضيت أمرا أو رغبت فيه قبلته ، وان كرهته عزلنا عنك ما تكره ؟ قال سعد : أنصفت . ثم ركز الحربة فجلس ، فعرض عليه الاسلام ، وقرأ عليه القرآن قالا فعرفنا والله في وجهه الاسلام قبل أن يتكلم ، لاشراقه وتسهله ثم قال لهما : كيف تصنعون اذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين، قالا: تغتسل وتطهر ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلي ركعتين، قال: فقام فاغتسل وطهر ثوبيه ، وتشهد شهادة الحق، ثم ركع ركعتين، ثم أخذ حربته ، فأقبل عامدا الى نادي ومعه أسيد بن حضير. الخ القصة.(١)

هكذا نرى أن للمعجزة العقلية تأثير كبير على مستمعها حيث أن لها علاقة مباشرة بالقلوب والمشاعر والأحاسيس .

---

(١) أنظر: سيرة بن هشام ج ٢ ص ٥٨ - ٦٠ .

ولقد أثر القرآن الكريم على الجن أيضا الذين لم يتمالكوا أنفسهم دون أن يستجيبوا له عندما سمعوا القرآن الكريم . قال تعالى : " قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا " .(١)

وقال تعالى : " وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ ۖ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا " .(٢)

يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله في ظلال القرآن : "فان هذه الآيات تنبئ عن وهلة المفاجأة بهذا القرآن للجن مفاجأة أطارت تماسكهم ، وزلزلت قلوبهم ، وهزت مشاعرهم ، وأطلقت في كيانهم دفعة عنيفة من التأثر امتلأ بها كيانهم كله وفاض فانطلقوا الى قومهم بنفوس محتشدة مملوءة فائضة بما لا تملك عليه صبرا ، قبل أن تفيضه على الآخرين في هذا الأسلوب المتدفق النابض بالحرارة والانفعال ، وبالجد والاحتفال في نفس الأوان وهي حالة من يفاجأ أول مرة بدفعة قوية ترج كيانه ، وتخلخل تماسكه ." انا سمعنا قرآنا عجبا ".. فأول ما بدهم منه أنه

---

(١) سورة الجن آية ١ - ٤ .

(٢) سورة الجن آية ١٣ .

" عجب" غير مألوف ، وأنه ينير الدهش فى القلوب ، وهذه صفة القرآن عند من يتلقاه بحس واع وقلب مفتوح ، ومشاعر مرهفة وذوق ذواق، عجب ، ذو سلطان متسلط وذو جاذبية غلابة ، وذو ايقاع يلمس المشاعر ويهز أوتار القلوب .. عجب فعلا. يدل على أن أولئك النفر من الجن كانوا حقيقة يتذوقون ".(١)

فعلا عجب لأنه أثر فى الجن من أول وهلة ، ولكن لا نستغرب كثيرا اذا علمنا أن طبيعة الجن فى التأثر والقبول ألين من طبيعة البشر، وأكثر تأدبا ، يدلنا ذلك قوله صلى الله عليه وسلم الذى رواه جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال : "خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها الى آخرها فسكتوا ، فقال لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردودا منكم ، كنت كلما أتيت على قوله " فبأى آلاء ربكما تكذبان" قالوا لا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد ".(٢)

هكذا نرى أن للمعجزة العقلية تأثيرها البالغ فى نفوس مستمعيها ، هؤلاء الجن بعد استماعهم للقرآن الكريم

---

(١) سيد قطب / المرجع السابق/ م ٦ ص ٣٧٢٦ - ٣٧٢٧ .
(١) أخرجه الترمذى فى سننه / ج ٤ ص ٧٣ - ٧٤ .

ودخل قلوبهم ، ولمس مشاعرهم ، وذاقوا طعم الايمان، انطلقوا الى أقوامهم يبشرونهم ويبلغونهم بما سمعوا ، واعجابهم به لأنه أولا كلام رب العالمين ثم يهدى الى الرشد والى صراط مستقيم .

وبعد أن رأينا تأثر الجن بهذه المعجزة العظيمة الخالدة التى يستمر تأثيرها الى يوم القيامة ، نعود مرة ثانية لنرى مدى تأثر الكفار بها .

اذا رجعنا الى كتب السيرة نجد أمثلة كثيرة تشير الى أن صناديد قريش حاولوا أن يؤثروا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم باغرائه بالمال والمناصب ، وبعد أن ينتهوا من عرضهم اياه لتلك المغريات المختلفة ، يقرأ عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم شيئا من القرآن ، فتجدهم يرجعون من عنده متأثرين به مذهولين . قال تعالى : "وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ" . (١)

ولنرى ذلك بأمثلة تطبيقية لبعض ممن اشتهر عنهم أنهم تأثروا بالمعجزة القرآنية بعد أن استمعوا اليها :

---

(١) سورة النمل آية ١٤ .

روى ابن كثير في البداية والنهاية قال:" عن ابن عباس رضي الله عنه أن الوليد بن المغيرة جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن، فكأنه رق له فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال يا عم ان قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا . فقال لم ؟ قال ليعطوكه فانك أتيت محمدا لتعرض ما قبله ، قال قد علمت قريش أني من أكثرها مالا، قال فقل فيه قولا يبلغ قومك أنك منكر له . قال وماذا أقول؟ فوالله ما منكم رجل أعرف بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه ، ولا بقصيده مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذى يقول شيئا من هذا ، ووالله ان لقوله الذى يقوله لحلاوة ، وان عليه لطلاوة ، وانه لمثمر أعلاه مغدق أسفله ، وانه ليعلو ولا يعلى، وانه ليحطم ما تحته قال لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه ، قال قف عني حتى أفكرفيه فلما فكر قال: ان هذا الا سحر يؤثر يأثره عن غيره ".(١)

وروى ابن كثير قصة عتبة بن ربيعة قال:" عن جابر بن عبدالله قال: اجتمع قريش يوما فقالوا أنظروا أعلمكم بالسحر

---

(١) ابن كثير / البداية والنهاية / ج ٣ ص ٦٠ - ٦١ .

والكهانة والشعر فليأت هذا الرجل الذى فرق جماعتنا وشتت أمرنا وعاب ديننا فليكلمه وليظر ما ذا يرد عليه ؟ فقالوا ما نعلم أحد غير عتبة بن ربيعة . فقالوا : أنت يا أباالوليد فأتاه عتبة فقال: يا محمد أنت خير أم عبدالله ؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال: أنت خير أم عبدالمطلب ؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال: فان كنت تزعم أن هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التى عبت ، وان كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك انا والله ما رأينا سخلة قط أشأم على قومه منك فرقت جماعتنا ، وشتت أمرنا ، وعبت ديننا وفضحتنا فى العرب حتى لقد طار فيهم أن فى قريش ساحرا وأن فى قريش كاهنا . والله ما ننتظر الا مثل صيحة الحبلى أن يقوم بعضنا الى بعض بالسيوف حتى نتفانى ، أيها الرجل ان كان انما بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلا ، وان كان انما بك الباء فاختر أى نساء قريش شئت فلنزوجك عشرا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " فرغت"؟ قال نعم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ حم تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ". (١)

---

(١) من سورة فصلت آية ١ - ٣ .

الى أن بلغ: "فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ"(١). فقال عتبة: حسبك ما عندك غير هذا؟ قال لا، فرجع الى قريش قالوا ما وراءك؟ قال: ما تركت شيئا أرى أنكم تكلمونه الا كلمته قالوا: فهل أجابك؟ فقال: نعم. وفي رواية أخرى قال: ورائي أني والله قد سمعت قولا ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا الكهانة، يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت نبأ، فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وان يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به. قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه. قال هذا رأيي لكم فاصنعوا ما بدا لكم.(٢)

---

(١) من سورة فصلت آية ١٣.

(٢) ابن كثير/ البداية والنهاية/ جـ٣ ص ٦٢ - ٦٤.

ان القرآن الكريم فى نفوس الناس يهدى الكافرين الى الايمان، ويرفع المؤمنين الى درجات الاحسان والمقامات العليا ، كما قدمت فى ذلك من الأدلة والبراهين الكافية .

ومن المعروف أن تلك الثمار العرفانية والايمانية والاحسانية لا تتأتى لطالبها من القرآن الكريم الا بشرط حسن الاستماع والانصات ، وبالتدبر فى آياته ، ومحاولة التعقل للانتفاع بمعانيه ، وفتح القلب على أذواقه ورقائقه وأنواره ، وفيوضاته ، والتسليم بالغيب الذى جاء فيه ، والذى لا تدركه عقولنا ، أو نصل اليه بأفهامنا ، ومن طبق هذه الشروط ، وقام بحق القراءة وبحق العلم فى النزاهة والتخلص من الأهواء الصارفة والذين يتجردون مما علق بقلوبهم ونفوسهم ، وينخلعون من الشبه التى تفسد عليهم مداركهم يصلون فى النهاية الى الايمان بالله ، وبصدق الرسالة الخاتمة ، وأحقية القرآن الكريم .(١)

وعلى الدعاة اليوم أن يلتفتوا الى تلك الميزة وأن يعوا معني القرآن الكريم تلاوة وحفظا وتدبرا وفهما، وأن يدركوا

---

(١) الدكتور عبدالله الشاذلي/ الدعوة الى الله / ص ٢٩٤ .

مراميه وأغراضه ، وأن يجيدوا عرضه على اسماع الناس وعقولهم فهو زاد الداعية الأول، وهو بدونه كجندى فى ساحة الوغى بلا سلاح ، هو زاد الداعية لذاته يثقفه ويبصره بموجبات الأعمال ويحفزه اليها ويهذب من نفسه ، ويرفق من قلبه ، وهو سلاحه الذى لا يبلى ولا يخلق، وهو منهجه وطريقته فى الاقناع، كما أنه مصدره الأول فى الافتاء، وهو مركز الجذب المؤثر فى نفوس الآخرين .

هذا ولو كان القرآن بأسلوب العلمية والقوانين الوضعية لما كان له ذلك التأثير العجيب الذى غير ما بأنفس العرب والعجم على سواء . فكانوا كلهم كما وصفهم الله تعالى ، ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾.(١)

ولم يكن عند المسلمين الأول شيء من العلم بسياسة الأمم وادارتها الا هذا القرآن والأسوة الحسنة بمبلغه ومنفذه الأول عليه الصلاة والسلام.(٢) ولن يعود للمسلمين مجدهم وعزهم الا اذا عادوا الى هداية القرآن الكريم .

---

(١) سورة آل عمران آية ١١٠ .
(٢) علي عبدالحليم محمود/ عالمية الدعوة الاسلامية / جـ١ ص ٤٣٣.

الخاتمـــــــــــة :

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات وأصلي وأسلـم على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبـــه أجمعين ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين . وبعد :

فبعد هذه الجولة التى طفنا من خلالها فى هذا البحث المتواضع ، أود أن أبين النتائج التى توصلت اليها من خـــلال هذه الجولة .

أولا : ان المعجزة دليل صدق على اثبات دعوى النبـــوة وهي ظاهرة من أكبر الظواهر الواقعية . وهذه الظاهرة تكررت عبر تاريخ البشرية ، نبي بعد نبي الى خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . وكونها ظاهرة مكررة يكتسب لها درجة الثبوت فى حد ذاته .

ثانيا : ان العلم التجريبي عندما يستحيل وقوع المعجزات لايعني ذلك أنه لايمكن وقوعها بالفعل ، لأن العلم التجريبي مجاله ما هو داخل اطار القوانين الطبيعية ، أما ما كان خارجا عن هـــذه القوانين فلا يمكن للعلم أن يفكر فيه ، ثم ان العلم يبحـــث عن المواضيع التى لها علاقة بالسببية ، أما المعجزة فهي خارج

عن هذا الاطار، وهي خارقة لهذه القوانين الطبيعية . ثم ان كون المعجزة خرقا للسنن الكونية فجديرة أن يكون موضع نظر . لأن هذا الذى نراه فى الأشياء مما نسميه نظام السببية ليس أكثر من رابطة مطردة نراها بأعيننا . وهيهات أن يكون ذلك مستلزما لوجوب الاستمرار واستحالة الانفكاك . ان المسبب الأول لا يعجزه شيء عن ابطال هذا التلازم والترابط الصورى الذى نراه . وان كان طول الالف واستمرار الاتصال يثير فينا العجب والاستغراب من وقوع ذلك .

ثالثا : ان المعجزة هي التى يستدل بها النبي صلى الله عليه وسلم قبل وقوعها على صدقه فى مدعاه ، فاذا وقعت تنزلت منزلة القول الصريح من الله بأنه صادق . وتكون دلالتها حينئذ على الصدق قطعية . والمعجزة تقطع دابر الظن وتمنع العقلاء علما ويقينا وترسي فى الفكر والفؤاد دعائم اليقين بصدق عباد الله المرسلين . وتلزم العقلاء بالاذعان والايمان .

رابعا : أما فيما يتعلق بمدى التأثير الاعجازى فى نفوس بعض الناس ، فلا شك أن للمعجزة تأثيرها ودورها فى امداد المؤمنين

على مدى الزمن بطاقات من قوة اليقين، ونور البصيرة ، ونبسات القلوب فى مواجهة التحديات المادية الزائفة التى تحاول أن تبرز نفوذها فى النفوس الضعيفة . ولقد رأينا ذلك بالنماذج والتطبيقات على مدى التأثير الاعجازى فى نفوس بعض الناس عبر تاريخ البشرية بقسميه : الاعجاز الحسي والعقلي .

وكنت أتمنى أن تكون مدة اعداد هذا البحث أطول، لأن مثل هذا الموضوع يحتاج الى تمعن وتدبر، لكن قصر الفترة التى من المفروض تسليم البحث جعلتني أن أختصره اختصارا شديدا .

وأوصي المسؤولون فى الجامعة أن لا يقللوا من اهتمامهم بمثل هذه الموضوعات لما لها من أهمية فى حياة الداعية ولأنها ذات قيمة كبيرة بالنسبة لهم فى الدعوة الى الاسلام .

وفى النهاية أسأل الله عز وجل أن يقيض لهذا الدين دعاة حق يحيون فى الناس نور الايمان ويوضحون لهم الطريق الحق ويفندون تلك المدنية المزيفة ويزرعون فى نفوس الناس الثقة بدينهم ويثبتوا لهم أن الحياة انما هي حياة الروح التى يغذيها الايمان والثقة بما عند الله . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

فهـــرس المراجـــع والمصادر :

القرآن الكريم :

١ ـ الاتقان فى علوم القرآن/ جلال الدين السيوطي ؛ تحقيق محمـــد أبو الفضل ابراهيم / طبعة مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني .

٢ ـ أسرار التكرار فى القرآن/ للكرماني ؛ دراسة وتحقيق عبدالقادر أحمد عطا / الطبعة الثانية ١٣٩٦هـ/١٩٧٦ م .

٣ ـ أصول الدين / عبدالقاهر البغدادى/ مطبعة الدولة استانبول الطبعة الأولى ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨ م .

٤ ـ الاسلام فى عصر العلم / محمد أحمد الغمراوى / الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣ م .

٥ ـ الاعجاز فى دراسات السابقين/ عبدالكريم الخطيب / دار المعرفة بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٧٥م / ١٣٩٥هـ .

٦ ـ الأعلام /لخيرالدين الزركلي/ دار العلم للملايين، الطبعـــة السادسة ١٩٨٤ م .

٧ ـ الايمان/للشيخ عبدالمجيد الزنداني/ الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣ م .

٨ ـ الباقلاني وكتابه اعجاز القرآن /الدكتور ؛ عبدالرؤوف مخلوف/ طبعة دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٧٣ م .

٩ ـ البداية والنهاية / ابن كثير / دار الفكر بيروت .

١٠ ـ بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز / لمجدالدين الفيروزابادى / تحقيق محمد علي النجار / ١٣٨٣هـ القاهرة .

١١ ـ بينات المعجزة الخالدة / الدكتور حسن ضياء الدين عتر / دار النصره سورية ، الطبعة الأولى ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥ م .

١٢ ـ تفسير القرآن العظيم / لابن كثير / دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣ م .

١٣ ـ تفسير المراغي / للشيخ أحمد مصطفى المراغي / دار احياء التراث العربي ، الطبعة الثانية ١٩٨٥ م .

١٤ ـ الجامع لأحكام القرآن / أبو عبدالله القرطبي / مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢ م .

١٥ ـ الدعوة الى الله / الدكتور عبدالله الشاذلي / طبعة يدوية .

١٦ ـ دعوة الرسل الى الله تعالى / محمد أحمد العدوى / دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩ م .

١٧ ـ الدعوة والانسان / الدكتور عبدالله الشاذلي / المكتبة القومية الحديثة ، طنطا .

١٨ ـ سنن الترمذى / للامام الترمذى ، تحقيق وتصحيح : عبدالرحمن محمد عثمان / دار الفكر بيروت ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠ م .

١٩ - سيرة ابن هشام / تقديم وتضبيط طه عبدالرؤوف سعد / مطبعة دار الجيل بيروت .

٢٠ - شرح المواقف/ للسيد شريف الجرجاني / الطبعة الأولى /١٣٢٥ هـ ١٩٠٧ م .

٢١ - الصحاح : تاج اللغة وصحاح العربية / لاسماعيل بن حماد الجوهري/ تحقيق أحمد عبدالغفور عطا / دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩ م .

٢٢ - صحيح البخاري/ للامام البخاري/ المكتب الاسلامي ، استانبول ، تركيا .

٢٣ - صحيح مسلم / للامام مسلم / تحقيق وتصحيح محمد فؤاد عبدالباقي/ دار الفكر بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨ م .

٢٤ - عالمية الدعوة الاسلامية / الدكتور علي عبدالحليم محمود/ دار عكاظ - جده - الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩ م .

٢٥ - غاية المرام في علم الكلام / لسيف الدين الآمدي، تحقيق حسن محمود عبداللطيف / القاهرة ١٣٩١هـ/ ١٩٧١ م .

٢٦ - فتح الباري شرح صحيح البخاري/ لابن حجر العسقلاني/ بتحقيق وتصحيح : محمد فؤاد عبدالباقي ومحب الدين الخطيب/ المطبعة السلفية .

٢٧ - فكرة اعجاز القرآن الكريم / نعيم الحمصي/ مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠ م .

٢٨ - في ظلال القرآن/ سيد قطب / دار العلم - جده - الطبعة الثانية عشر ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦ م .

٢٩ - القاموس المحيط/ لمجدالدين الفيروزابادى/ دار الفكر بيروت ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣ م .

٣٠ - كبرى اليقينيات الكونية / الدكتور: محمد سعيد رمضان البوطي/ دار الفكر، الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ .

٣١ - كتاب الارشاد الى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد/ لامام الحرمين الجويني/ تحقيق وتعليق وتقديم الدكتور: محمد يوسف موسى وعلي عبدالمنعم عبدالحميد/ الناشر مكتبة الخانجي مصر، ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠ م .

٣٢ - كتاب البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة والسحر والنارنجات / للقاضي أبي بكر الباقلاني/ تصحيح ونشر الأب رتشرد يوسف مكارثي اليسوعي/ المكتبة الشرقية ، بيروت ، ١٩٥٨ م .

٣٣ - لسان العرب / لابن منظور الأفريقي/ دار صادر، بيروت .

٣٤ - لمحات في علوم القرآن / محمد الصباغ/ المكتب الاسلامي، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م .

٣٥ - لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية / للشيخ محمد السفاريني/ بدون سنة طبع ولا نشر .

٣٦ - محصل الأفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين/ لفخرالدين الرازى/ الطبعة الأولى.

٣٧ - مختار الصحاح / محمد بن أبي بكر الرازى/ دار الفكر ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م.

٣٨ - مع الأنبياء في القرآن الكريم / عفيف عبدالفتاح طبارة / دار العلم للملايين، بيروت ، الطبعة الثانية.

٣٩ - معجزات الأنبياء بين العقل والعلم / محمد الصادق عرجون / مطبعة دار نشر الثقافة ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥ م.

٤٠ - معجزة القرآن/ للشيخ محمد متولي الشعراوى/ بدون سنة نشر.

٤١ - المعجزة الكبرى/للشيخ محمد أبو زهرة / دار الفكر العربي.

٤٢ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / محمد فؤاد عبدالباقي/ دار احياء التراث العربي، بيروت.

٤٣ - مع رسل الله وكتبه واليوم الآخر/ للشيخ حسن أيوب / دار القلم ، كويت.

٤٤ - المغني في أبواب التوحيد والعدل/ للقاضي عبدالجبار، تحقيق الدكتور محمود الخضيرى والدكتور محمود محمد قاسم / طبعة المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر. القاهرة ١٣٨٥هـ.

٤٥- مقدمة ابن خلدون / دار القلم بيروت، الطبعة الخامسة ١٩٨٤ م.

٤٦ - المنهاج القرآني/ الدكتور عبدالله الشاذلي/ المكتبة القومية الحديثة ، طنطا.

٤٧ - مناهل العرفان فى علوم القرآن/ للشيخ محمد عبدالعظيم الزرقاني/ دار الفكر، الطبعة الثالثة.

٤٨ - المواقف فى علم الكلام / للقاضي عبدالرحمن الايجي/ الطبعة الأولى ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧ م.

٤٩ - موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين/ للشيخ مصطفى صبرى/ طبعة المكتبة الاسلامية ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠ م.

٥٠ - النشر الطيب على شرح الشيخ الطيب / للشيخ ادريس الوزاني/ المطبعة الاسلامية بالأزهر، الطبعة الأولى ١٣٥٢ هـ.

٥١ - نظرية اعجاز القرآن عند عبدالقاهر الجرجاني/ لمحمد حنيف فقيهي/ الطبعة الأولى ١٤٠١هـ/ ١٩٨١ م.

٥٢ - النووى شرح صحيح مسلم / للامام النووى/ دارالفكر ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٥٣ - نهاية الاقدام فى علم الكلام / للامام عبدالكريم الشهرستاني/ حرره وصححه الفرد جيوم، بدون سنة نشر.

٥٤ - الوحي المحمدى/ للشيخ محمد رشيد رضا / المكتب الاسلامي، الطبعة الثامنة.

فهـــرس المـــــوضوعات :

الموضوع	الصفحـــة
١ - المقدمـــــة .	١
٢ - الفصل الأول :	
" المعجزة وما يلحق بهـــا "	
٣ - تعريف المعجزة لغة .	٦
٤ - تعليق على المعنى اللغوى .	٨
٥ - تعريف المعجزة اصطلاحا .	٩
٦ - تعليق على التعاريف الاصطلاحية .	١٢
٧ - شروط المعجـــزة .	١٣
٨ - تاريخ تسميتها بالمعجزة .	١٧
٩ - علاقة المعجزة بالسنن الكونية .	٢٣
١٠- تمهيـــــد .	٢٣
١١- خرق المعجزة لقوانين الطبيعة .	٢٤
١٢- تنوع المعجزة ومناسبتها لبعثة كل نبي .	٣٠
١٣- الفرق بين المعجزة وغيرها من خوارق العادات .	٣٤
١٤- تمهيـــــد .	٣٤

الموضوع	الصفحة
١٥ - الفصل الثانـــي :	
" المرحلة الاعجازية بين مراحل الدعـــوة "	
١٦ - تمهيـــــد .	٣٨
١٧ - المرحلة الأولى : البلاغ .	٣٩
١٨ - المرحلة الثانية : اثارة الفطرة الانسانية .	٤٢
١٩ - المرحلة الثالثة : جواب المدعوين لأنبيائهم ومناقشتهم اياهـــم .	٤٦
٢٠ - المرحلة الرابعة : المرحلة الاعجازية .	٥٠
٢١ - الفصل الثالـــث :	
"التأثير الاعجازى : نماذج وتطبيقات "	
٢٢ - تمهيـــــد .	٦٥
٢٣ - دلالة المعجـــزة .	٦٨
٢٤ - تأثير المعجزة الحسية .	٧٢
٢٥ - تأثير المعجزة العقلية (أو العلمية).	٨٠
٢٦ - الخاتمـــــة .	٩٨
٢٧ - فهرس المراجع والمصادر .	١٠١
٢٨ - فهرس الموضوعات .	١٠٧